

بَذْلُ الْمَجْهُودِ

فِي إِفْحَامِ الْيَهُودِ

ألفه

الحكيم المحقق السموءل بن يحيى بن عباس المغربي
من أعظم أحبار اليهود قبل إسلامه

(ويليه الرسالة السبعية بإبطال الديانة اليهودية)

قدم له
محمد أحمد الشامي

يطلب من
مكتبة الجهاد الكبرى بأول الفجالة بالقاهرة
والشامي بالمنصورة

بَذْلُ الْمُجْهُودِ فِي إِفْحَامِ الْيَهُودِ

ألفه

الحكيم المحقق السموءل بن يحيى بن عباس المغربي
من أعظم أحبار اليهود قبل إسلامه

(ويليه الرسالة السبعية بإبطال الديانة اليهودية)

قدم له
محمد أحمد الشامي

يطلب من
مكتبة الجهاد الكبرى بأول الفجالة بالقاهرة
والشامي بالمنصورة

مطبعة الفجر الجديدة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تعريف بالكتاب ومؤلفه :

هذا كتاب « بذل المجهود في إخماد اليهود » لمؤلفه السموءل بن يهوذا المغربي الأندلسي الطبيب الماهر والحكيم العالم اليهودي أولاً والمسلم آخرأ . قدم هو وأبوه إلى بلاد المشرق ، وكان أبوه ينشد الحكم والمال شأن كل يهودي . وكان ولده السموأل يحب العلم ويطلبه بشغف وشوق ومثابرة حتى أتقن فنون الحكمة ، وتضلّع في علوم الرياضة ، وتبحر في الفنون الطبية ، وأحكم أصول ذلك أيما إحكام ، وجمع فوائد ونوادرها . وصنف في ذلك مصنفات ، وراى المشرق كله ثم أقام في بغداد ورحل منها إلى أذربيجان ، وهناك أقام في « سراغة » واكتملت سعادته بالزواج وإنجاب الأولاد ، ودرس مبادئ الإسلام في كل هذه المراحل ، وفهم كل أسرارها ، وعلم محاسنها وفطرتها ، وكان من نتيجة هذه الدراسات أن أسلم الرجل عن علم وخبرة و يقين ، وكان قبل اعتناقه للإسلام قد صار من كبار أخبار اليهود ، يدلنا على واسع علمه وكثرة خبرته ما في هذا الكتاب من فهم وإدراك ، وتحليله لآيات التوراة ، وتوضيحه لأوهام الأخبار وضلالاتهم ، وإظهاره لمواطن السرفى طوايا نفوسهم .

وقد أظهر أثناء مناقشاته لعقائد اليهود في كتابه الديانة اليهودية على حقيقتها ، وعرفها تعريف المتعمق في فهمها ، وبين الصحيح منها والفاسد ، وكشف عن أخطاء القوم ومغالطاتهم ، وفضح طرقهم الملتوية وحيلهم الماكرة ، وإنك لو اجد في هذا الكتاب مخازى لاحصر لها ، ومفاسد كثيرة .

وقد استطاع المؤلف بما وصل إليه من علم بالتوراة ، وواسع اطلاعه على كتب القوم متوناً كانت أو شروحاً ، أن يفهم كل علماء عصره من اليهود .

ولا يزال هذا الإلغام يتحدى أحبارهم وحكّاءهم وقفاهم بالرغم من مضى أكثر من ثمانية قرون على وضع هذه الرسالة ، وقيام هذا التحدى .

ولإنها الرسالة قيمة حقاً ، وإن دلت على شيء بعد ماحوته من حجج وبراهين ، إنما تدل على واسع خبرة الرجل ، وتمكّنه من فهم اللغة العبرية ، وآدابها وأصولها وفروعها ، وعظيم فهمه للتوراة بمقدار ما يبين من جهل الذين ترجموها ، أو تجاهلهم للحق والحقائق ، أو توجيههم الترجمة إلى حيث أغراضهم التى تنحصر فى السيطرة على قومهم ، واحتلال أماكن الصدارة والرئاسة بينهم ، وجمعهم فى بيئة مستقلة ، وتوجيههم إلى شريعة من صنع أيديهم ووحى أفكارهم .

حدث المؤلف عن نفسه فقال : إن أبى كان يقال له : الرب يهوذا بن أيوب ، من مدينة فاس التى بأقصى المغرب . والرب : لقب ليس باسم . وتفسيره : الخبر . وكان أعلم أهل زمانه بعلوم التوراة . وأقدرهم على التوسع فى الإنشاء والإعجاز فى ارتجال منظوم العبرانى ومنشوره . وكان اسمه المدعوبه بين أهل العربية أبا البقاء بن يحيى بن عباس المغربى وذلك أن كثيراً من متخصصيهم يكون له اسم عربى ، غير اسمه العبرى مشتق منه ، كما جعلت العرب الاسم غير الكنية . وكان اتصاله بأبى ببغداد وأصلها من البصرة . وهى إحدى الأخوات الثلاث المنجبات فى علوم التوراة ، والكتابة بالقلم العبرى . وهن بنات إسحاق ابن إبراهيم البصرى الليوى ، أعنى سبط ليوى ، وهو مضبوط النسب لأن منه كان موسى عليه السلام .

وكان إسحق هذا ذا علوم يدرسها ببغداد . وكانت أمهن نفيسة بنت أبى نصر الداودى المصرى . وهذا الداودى من رؤسائهم المشهورين ، وذريته إلى الآن بمصر . وكان اسم أمى باسم أم شموايل النبى عليه السلام .

وكان هذا النبى ولد بعد أن مكثت أمه عاقراً لا ترزق ولداً ، ولا تحبل مدة .

سنين ، حتى دعت ربها في طلب ولد يكون ناسكا لله تعالى . ودعا لها رجل صالح من الأئمة يقال له عبيلى ، فولدت شموائيل النبى . ومكثت أمى كذلك عند أبى مدة لا ترزق ولداً ، حتى استشعرت العقم . فرأت فى منامها أنها تتلو مناجاة حنة أم شموائيل لربها ، فنذرت أنها إن رزقت ولداً ذكرأ تسميه شموائيل ، لأن اسمها كان باسم أم شموائيل ، فاتفق أنها بعد ذلك اشتملت على . وحين رزقتنى دعتنى شموائيل وهو إذا عرب : السموول . وكفانى أبى أبا نصر ، وهى كنية جدى . وشغلنى أبى بالكتابة بالقلم العبرى ، ثم بعلوم التوراة وتفاسيرها . حتى إذا أحكت علم ذلك عند كمال السنة الثالثة عشر من مولدى شغلنى حينئذ بتعلم الحساب الهندى وحل الزيجات عند الشيخ الأستاذ العالم أبى الحسن البكرى . وقرأت علم الطب على الفيلسوف أبى البركات هبة الله بن على رحمه الله تعالى والتأمل فى علاج الأمراض ، ومشاهدة ما ينفق من الأعمال الصناعية فى الطب والعلاجات التى يعالجها خالى أبو الفتح الطيب ابن البصرى .

فأما الحساب الهندى والزيج فأبى حملت علمهما فى أقل من سنة ، وذلك حين كمل لى أربع عشر سنة ، وأنا فى خلال ذلك لا أقطع القراءة فى الطب ، ومشاهدة علاج الأمراض ، ثم قراءة الحساب الديوانى . وعلم المساحة على الشيخ الإمام العالم أبى المظفر بن السهروردى رحمه الله تعالى . وقرأت الجبر والمقابلة أيضاً عليه وعلى الكاتب ابن أبى تراب . وترددت إلى الأستاذ أبى الحسن بن البكرى وأبى الحسن بن النقاش ، لقراءة الهندسة ، حتى حلت المقالات التى كانا يحلانها من كتب إقليدس وأنا فى خلال ذلك متشاغل بالطب حتى استوعبت ما ذكرته من الأستاذ ابن البكرى من هذه العلوم ، بقى بعض كتاب المجسطى فى الحساب والكتاب السابع فى الجبر والمقابلة للكرخى لا أجد من يعرف منه شيئاً وغير ذلك من العلوم الرياضية مثل كتاب شجاع بن أسلم فى الجبر والمقابلة وغيره .

وكان لى من الشغف بهذه العلوم والعشق لها ما يلهيىنى عن المطعم والمشرب
إذا فكرت فى بعضها ، فخلوت بنفسى فى بيت وحللت جميع تلك الكتب وشرحتها ،
ورددت على من أخطأ فيها ، وأظهرت أغلاط مصنفىها ، وعربت ما عجزوا عن
تصحيحه وتحقيقه ، وأدربت على إقليدس فى ترتيب أشكال كتابه بحيث أمكننى
إذا غيرت نظام أشكاله أن استغنى عن عدة منها لا يبقى إليها حاجة بعد .

وكتاب إقليدس معجز لسائر المهندسين ، إذ لم يحدثوا أنفسهم بتغيير نظام
أشكاله ، ولا بالاستغناء عن بعضها ، كل ذلك فى هذه السنة ، أعنى الثامنة عشرة
من مولدى واتصلت تصانيفى فى هذه العلوم منذ تلك السنة وإلى الآن ، وفتح الله
على كثيراً مما ارتج على من سبقنى من الحكماء المتذربين ، فدونت ذلك لينتفع
به من فُتح عليه .

وفى خلال ذلك ليس لى مكسب إلا بضاعة الطب ، وكان لى منها أوفر
حظ . إذ أعطانى الله من التأييد فيها ما عرفت به كل مرض يقبل العلاج من
الأمراض التى لا علاج لها . فما عالجت مريضاً إلا عوفى ، وما كرهت علاج
مريض إلا عجز عن علاجه سائر الأطباء ، وكاعوا^(١) عن تدبيره .
فالحمد لله على جزيل مننه ، وعظيم فضله ونعمه .

واتضح لى بعد مطالعة ما طالعته من الكتب التى بالعراق والشام وآذربيجان
وكوهتان : الطريق إلى استخراج علوم كثيرة ، واختراع أدوية لم أعرف أنى
سبقت إليها ، مثل الدرياق الذى وسمته بالخلص ذى القوة النافذة ، وهو يبرىء
من جملة أمراض عشرة فى بعض يوم ، وغيره من الأدوية التى ركبتها ، مما فيه
منافع وشفاء للناس بإذن الله .

وقد كنت قبل اشتغالى بهذه العلوم — وذلك فى السنة الثانية عشرة والثالثة

(١) كاعوا : أى جنبوا أو هابوا علاج المريض .

عشرة — معتنياً بالأخبار والحكايات ، شديد الحرص على الاطلاع على ما كان في الزمن القديم ، والمعرفة بما جرى في القرون الخالية . فاطلعت على التصانيف المؤلفة في الحكايات والنوادر على اختلاف فنونها . ثم انتقلت عن ذلك إلى محبة الأسفار والخرافات الطوال ، ثم إلى الدواوين الكبار ، مثل ديوان أخبار عنقرة ، ودلهمة والبطال ، وأخبار اسكندر ذي القرنين ، وأخبار العنقاء ، وأخبار المطرف بن لوران ، وغير ذلك .

ثم إنى لما طالعت ذلك اتضح لى أن أكثره من تأليفات الوراقين ، وطلبت الأخبار الصحيحة ، فمالت نفسى إلى التواريخ ، فقرأت كتاب على بن مسكويه الذى سماه تجارب الأمم . وطالعت تاريخ الطبرى وغيرها من التواريخ . وكانت تمر بى فى هذه التواريخ أخبار النبى صلى الله عليه وسلم وغزواته ، وما أظهر الله تعالى له من المعجزات ، وخصه به من الكرامات ، وحباه به من النصر والتأييد ، فى غزوة بدر وغزوة خيبر وغيرها ، وقصة منشئة فى اليتيم والضعف ، ومعاداة أهله له ، وإقامته فيما بين أعدائه يجاهدونهم بإنكار دينهم عليهم ، والدعوة إلى دينه مدة طويلة وستين كثيرة . إلى أن أذن الله له فى الهجرة إلى دار غيرها . وما جرى للأعداء الذين جاهدوه من النكبات ومصرعهم بين يديه بسيوف أوليائه ببدر وغيرها . وظهور الآية العجيبة فى هزيمة الفرس ، ورستم الجبار معهم فى ألوف كثيرة ، فى غاية من الحشد والقوة ، بين يدي أصحاب سعد بن أبى وقاص ، وهم يسير على حالة شديدة من الضعف . ومدائن كسرى أنوشروان ، وانكسار الروم وهلاك عساكرهم على يدي أبى عبيدة عامر بن الجراح رضى الله عنه ، وخالد بن الوليد رضى الله عنه . ثم سياسة أبى بكر الصديق وعمر بن الخطاب رضى الله عنهما ، وعدلها وزهدهما .

ومع ذلك فإنى كنت لكثرة شغفى بأخبار الوزراء والكتاب قد اكتسبت

بكثرة مطالبتي لحكاياتهم وأخبارهم وكلامهم قوة البلاغة ، ومعرفة بالفصاحة ، وكان لى فى ذلك طبع يحمده الفصحاء ، ويعجب به البلغاء — وقد يعلم ذلك منى من تأمل كلامى فى بعض الكتب التى ألفتها فى أحد الفنون العلمية — فشاهدت المعجزة التى لا تباريها الفصاحة الآدمية فى القرآن العظيم ، فعلمت صحة إعجازه .

ثم إنى لما هذبت خاطرى بالعلوم الرياضية ، ولا سيما الهندسية وبراهينها . راجعت نفسى فى اختلاف الناس فى الأديان والمذاهب ، وكان أكثر الحركات إلى البحث عن ذلك مطالعتى كتاب برزويه الطيب من كتاب كلياته ودمنة وما وجدت فيه ، فعلمت أن العقل حاكم يجب تحكيمه على كليات أمور عالمنا هذا . إذ لولا العقل أرشدنا إلى اتباع الأنبياء والرسل ، وتصديق المشايخ والسلف ، لما صدقناهم فى سائر ما نقلنا عنهم . وعلمت أنه إذا كان أصل التمسك بالمذاهب للورثة عن السلف ، وأصل اتباع الأنبياء مما أدى إليه العقل ، فإن تحكيم العقل على كليات جميع ذلك واجب . وإذا نحن حكمنا العقل على ما نقلناه عن الآباء والأجداد ، علمنا أن النقل عن السلف ليس يوجب العقل قبوله من غير امتحان لصحته ، بل لمجرد كونه مأخوذاً عن السلف ، لكن من أجل أن يكون أمراً ذا حقيقة فى ذاته ، والحجة موجودة بصحته . فأما الأبوة السلفية وحدها فليست بحجة ، إذ لو كانت حجة لكانت أيضاً حجة لسائر الخصوم الكفار ، كالنصارى ، فإنهم نقلوا عن أسلافهم أن عيسى ابن الله ، وأنه الرازق ، المانع ، الضار . فإن كان تقليد الآباء والأسلاف يدل على صحة ما ينقل عنهم ، فإن ذلك يلزم منه الإقرار بصحة مقالة المجوس . وإن كان هذا التقليد لأسلاف اليهود خاصة دون غيرهم من الأمم ، فلا يقبل ذلك منهم ، إلا أن يأتوا بدليل على أن آباءهم وأسلافهم كانوا أعقل الأمم . فإذا ادعت اليهود ذلك فى حق آبائهم وأسلافهم ، فجميع أخبار أسلافهم ناطقة بتكذيبهم فى ذلك . وإذا تركنا التعصب لهم فنحن

نجعل لأبائهم أسوة بسائر آباء غيرهم من الأمم . فإذا كانت آباء النصارى وغيرهم قد نقلوا عن آبائهم الكفر والضلال الذى تهرب العقول منه ، وتنفر الطباع السليمة عنه ، فليس بممتنع أن يكون ما نقله اليهود عن آبائهم أيضاً بهذه الصفة . فلما علمت أن اليهود لهم أسوة بغيرهم فيما نقلوه عن الآباء والأسلاف ، علمت أن ليس بأيديهم حجة صحيحة بنبوة موسى إلا شهادة التواتر . وهذا التواتر موجود لعيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام ، كوجوده لموسى عليه السلام وعليهم أجمعين . فإن كان التواتر يفيد تصديقاً فالثلاثة صادقون ونبوتهم معاً صحيحة .

وعلمت أيضاً أنى لم أر موسى بعينى ولم أشاهد معجزاته ، ولا معجزات غيره من الأنبياء عليهم السلام ، ولولا النقل وتقليد الناقلين لما عرفنا شيئاً من ذلك . فعلمت أنه لا يجوز للعاقل أن يصدق واحد ويكذب واحد من هؤلاء الأنبياء عليهم السلام . لأنه لم ير أحدهم ولا شاهد أحواله إلا بالنقل ، وشهادة التواتر موجودة لثلاثتهم . فليس من العقل ولا من الحكمة أن يصدق أحدهم ويكذب الباقيون ، بل الواجب عقلاً أن يصدق الكل أو بعض الكل . فاما تكذيب الكل فإن العقل لا يوجبها أيضاً . لأننا إنما نجدهم أتوا بمكارم الأخلاق ، وندبوا إلى الفضائل ، ونهوا عن الرذائل . ولأننا نجدهم قد ساسوا العالم سياسة بها صلاح حال أهله .

فصح عندى بالدليل القاطع نبوة المسيح والمصطفى عليهما السلام وآمنت بهما . فكثرت برهة أعتقد ذلك من غير أن التزم الفرائض الإسلامية ، مراقبة لأبى . وذلك أنه كان شديد الحب لى ، قليل الصبر عنى ، كثير البر بى . وكان قد أحسن تربيتى ، إذ شغلنى منذ أول حدثتى بالعلوم البرهانية . وزين ذهنى وخاطرى فى الحساب والمهندسة المعلمين اللذين مدح أفلاطون عقل من يتربى ذهنه فى النظر فيها . فكثرت مدة طويلة لا يفتح على وجهه الهداية . ولا تحل

عنى هذه الشبهة وهى مراقبة أبى ، إلى أن حالت الأسفار بينى وبينه . ومدت دارى عن داره . وأنا مقيم على مراقبته والتزم من أن أفعه بنفسى ، وحان وقت الهداية . وجاءتنى الموعظة الإلهية برؤيتى للنبي صلى الله عليه وسلم فى المنام ، فى ليلة الجمعة تاسع ذى الحجة سنة ثمان وخمسين وخمسمائة . وكان ذلك بالمراغة من آذربيجان .

وهنا ذكر المؤلف أنه رأى الرسول الأمين صلوات الله عليه ، وإن رؤياه هى سر سعادته والسبب فى اعتناقه للإسلام ولم أعثر على نص كامل لهذه الرؤيا . هذا والمؤلف المذكور مؤلفات كثيرة فى فنون مختلفة ، أشهرها : الطب . الرياضيات كالجبر والمقابلة والحساب والمثلثات ، وكان خبيراً بالجواهر والأحجار الكريمة بكافة أنواعها ، وكان متقناً لعلوم أخرى كثيرة .
توفى رحمه الله بالمراغة من أعمال آذربيجان سنة ٥٧٠ هـ .

مقدمة

اليهود قوم يدعون أن لهم كتاباً مقدساً اسمه التوراة ، يؤمنون بكل ما جاء فيه ، وهم بشهادة هذا الكتاب نفسه قوم منافقون ، كذابون ، فاسقون ، عصاة ، زناة ، أغبياء ، عديموا الرأي ، وليس فيهم فطنة ، وأنهم عبدوا العجل والكباش المصنوعة من الذهب بفن وإتقان برعام بن نباط . وإليك جملاً مما تضمنته التوراة والكتب التي بين أيديهم من سيء ما انطوت عليه نفوس القوم من فساد في العقائد ، وانحطاط في الأخلاق ، واندماج في الرذائل ، وكذب على الله والأنبياء . من ذلك :

١ — اليهود وافترأؤهم على الله سبحانه :

نسبوا إلى الله سبحانه وتعالى عما يصفون علواً كبيراً : أنه ينام ، بقولهم : « انتبه لم تنام يارب استيقظ من رقدتك » ونسبوا إليه كذباً وبهتاناً أنه ندم على خلق البشر في الأرض ، وأنه ندم أيضاً لأنه ملك شاول على إسرائيل ، ويقولون : يد الله مغلوله^(١) . ويقولون : إن الله فقير ، ويقولون : العزيز ابن الله . ويقولون : إن الله يطالع الشريعة اليهودية طبعاً في الساعات الثلاث الأولى من النهار ، ويحكم في الساعات الثلاث الثانية من النهار ، ويطعم العالم في الساعات الثلاث الثالثة ، ويلعب مع الحوت ملك الأسماك في الساعات الثلاث الرابعة ، ويقولون : إن الله يبكي ثلاثة أرباع الليل ويقول بصوت يشبه زئير الأسد : تباً لي لقد حرصت على خراب بيتي وإحراق الهيكل ونهب أولادي ، ولم يلعب مع الحوت بعد خراب الهيكل^(٢) . ويقولون إن الله يتدارس علوم التلمود في الليل مع اسمودا ملك الشياطين . ويقولون : إن الله ندم على تركه إسرائيل في حالة

التعاسة ، ومن شدة الندم يلطم ويبيكى كل يوم فيسقط من عينه دمعتان في البحر فتسمع دويهما في كافة أنحاء الأرض وتضطرب المياه وترجف الأرض فتحدث الزلازل . ويقولون : إن الله عندما يغضب يستولى عليه الطيش والغضب ويقولون : عندما خلق الله الشياطين لم يكن لديه الوقت الكافي لخلق أجساد لهم أو ملابس . ويقولون : إن الله يستشير الحاخام على الأرض عندما توجد مسألة لا يمكن حلها في السماء .

تلك بعض اعتقاداتهم الهارفة وأكاذيبهم على الله سبحانه وتعالى عن مثل هذا الإفك والبهتان ، وهي قليل من كثير وليس هنا مكان الإطالة .

٢ — اليهود واليهود أنفسهم :

يبدأ ذكر اليهود بعد ظهور إبراهيم الخليل الذي هاجر من العراق إلى فلسطين وولديه إسحاق وإسماعيل ومن ثم يعقوب الذي اشتهر باسم إسرائيل ، وفي عصر يعقوب هاجر اليهود إلى مصر بسبب غدر أولاد يعقوب بعضهم ببعض ، وسبب آخر وهو القحط والمجاعات التي حلت بهم في فلسطين وفي مصر ظهرت عيوبهم الكثيرة وأهمها : خبائث نواياهم ومكر نفوسهم وسوء أفعالهم ، وبسبب ذلك استعبدتهم الفراعنة وصدقت فيهم الحكمة القائلة . إن المكر السيئ يحقق بأهله دائماً : وحال فرارهم من مصر إلى فلسطين سرقوا بأمر الأحبار كل ماوصلت إليه أيديهم مما خف حمله وغلا ثمنه .

وفي الفترة ما بين إبراهيم وموسى ظهر أنبياء وهداة كثيرون في هذه الطائفة ، إلا أن انتشار الفساد والخيانة والغدر والنفاق والكذب بينهم ، جعل حياة الأنبياء والمصلحين والهداة عرضة للطعن والتجريح والأذى والالتهام والقتل أحياناً وقد امتلأت كتبهم بذلك ، ونورد منه البعض على سبيل المثال .

من ذلك أن يعقوب الذى هو إسرائيل أو الأب الروحى لليهود فى كل زمان ومكان ، وهو من الأنبياء المعصومين فى نظر الإسلام ، هذا النبى الأمين وصمته التوراة بأنه أبى أن يطعم أخاه عيسو العائد من السفر إلا بعد أن تنازل له عن ميراثه فى أبيه إسحاق ، ويزعمون أيضاً أن يعقوب أبوهم الروحى غشاش : حيث اتحل شخصية أخيه عيسو ليأخذ بركة أبيه إسحاق ، بعد أن كف بصره . ويقولون إن راحيل زوجة يعقوب سرقت أصنام أبيها ، وضبطها أخوها مع يعقوب . ويقولون : إن روبين بن يعقوب زنى تجارية أو زوجة أبيه ، بله . وهذه شهادة الأب فى أبنائه وهم صلحاء ومؤسسوا إسرائيل منذ نشأتها .

يقول يعقوب فى الإصحاح التاسع والأربعين : مخاطباً ابنه البكر رؤبين : أنت بكرى وقوتى وأول قدرتى فاضل فى الشرف فاضل فى العز ، فُرت كالماء ، لا تُفضل لأنك علوت مضجع أبيك ودنسته : ويقول فى ابنه شمعون وابنه لاوى : هما أخوان سيوفهما آلات جور . مجلسهما لا تدخله نفس ، وفى مجتمعهما لا تتحد ذاتى لأنهما فى سخطهما قتلا إنساناً ، وفى رضاها عرقبا ثوراً . ويقول : إن بنيامين ذئب مفترس ، بالغداة يأكل غنيمته ، وبالعشية يقسم السلب . هذا يعقوب الأب الروحى لليهود وأبنائه بزعمهم . أما لوط الذى هرب من سخط الرب على قومه فقد اتهموه بجرمة الزنا بابنتيه ، والتى كان من أثرها فرعان من أكبر بطون بنى إسرائيل وهما الموآبيين والعمونيين ، وقد نسبوا جرمة الزنا إلى يهوذا بن يعقوب ولم يتركوا نبياً من أنبيائهم الكثيرون جداً إلا وألصقوا به تهمة أو عيباً فاحشاً يتحاشاه أى إنسان له ذرة واحدة من العقل .

هذا فضلاً عن قتلهم لأكثر من سبعين نبياً بطرق وحشية فظيعة أقلها الذبح ، هذا بالنسبة للأنبياء . أما بالنسبة لهم كجموعة وأفراد فلن تجد سفراً من أسفار كتبهم إلا وبه من مخازيهم الكثير والكثير جداً ، وأقلها وأبسطها جرماً

فى نظر القوم الزنا والخيانة والغدر والقتل . تلك هى طبيعة القوم قديماً وحديثاً .

٣ — اليهود والمسيحية :

بالرغم من أن التوراة الموسوية التى ضاعت معالمها مع ورثة هارون أخو موسى ، فقد استطاع الفريق الآخر وتمكن من تدوين توراة أخرى من بنات أفكار أخبار وعلماء ذلك الفريق ، وقد حاولوا جاهدين أن يجعلوها قريبة جداً من التوراة التى فقدت مع تابوت العهد وأضافوا إليها كل أفكارهم المسممة ، ورغباتهم المكبوتة . ولاشك فى أن التوراة التى فقدت كانت تحوى اعترافات صريحة تنبىء بمجىء السيد المسيح وظهوره ، وهو يتفق مع نصوص القرآن ، والقوم يعلمون علم اليقين أن المقصود : برجل سيعيد إنما هو السيد المسيح . ويعلمون أيضاً أن انقضاء ملك آل يهوذا إنما هو إشارة لبعث السيد المسيح ، غير أن القوم تجاهلوا هذه الإشارات ، وأنكروا ظلماً كل ما جاء فى التوراة دالاً على ظهور المسيح أو محمداً صلى الله عليه وسلم ، وذلك إنكاراً للحق وتمشياً مع الغايات الشخصية والأغراض النفسية لأحبارهم وكهانهم الذين حاكوا السيد المسيح بعد أن اتهموه بأبشع الاتهامات . ولما سئلوا عن معجزاته ، قالوا إنه عرف اسم الله الأعظم واستخدمه . وهل من المعقول أو هناك من يصدق أن ابن الزنا — كما يزعمون هم أنفسهم ألا ساء ما يزعمون — يستطيع الوصول إلى معرفة اسم الله العظيم الأعظم ، اللهم إن هذا كذب وافتراء وبهتان عظيم .

وهكذا نال اليهود بزعمهم كل النيل من السيد المسيح حياً وميتاً . فى حياته قبضوا عليه بإرشاد تلميذه اليهودى يهوذا الأسخريوطى الذى كان أسرع خائن قديماً وحديثاً ، وصلبوه كما زعموا بالرغم من وجود أتباع له كثيرون ، وانتهكت حرماته ومقدساته وآثاره بخيانة الكثير من الذين يرتدون لباس المسيحية ، وهم هم أشد عداوة للمسيح من يهوذا الأسخريوطى ألعن خائن عرفته البشرية ، وقد

مكنت لأولئك الخونة في العصر الحديث ظروف خاصة جعلت منهم رؤساء وحكام على دول تدين بالمسيحية وباللأسف .

إن أمريكا وغيرها من الدول الكبرى يدينون بالمسيحية ، وقد كانت خيانة المسيح وتعاليم المسيح وراث المسيح ميثاقاً من رؤساء هذه الدول ، وهم وللأسف يدينون بالمسيحية إسماً ، وباليهودية ديناً ، وبالصهيونية عقيدة . فلا تعجب أيها القارئ الكريم لأنها الخيانة والغدر والمادة والأغراض اليهودية والرديلة الممثلة في الشهوات الجنسية . ولا يفوتني أن أؤكد هذه السخائم بما فعله اليهود بالكونت برنادوت ممثل الأمم المتحدة وهو المسيحي وابن الدولة المسيحية . ومنذوب مجموعة الدول المسيحية ، فماذا فعل كل أولئك .

كما لا يفوتني أن أؤكد هذا العار بذكر تمثيل اليهود بجنود بريطانيا العظمى ، نعم العظمى أو أكبر دولة تدين بالمسيحية في عصرنا هذا ، نعم بريطانيا العظمى التي قام اليهود بصلب جنودها . وهي هي بريطانيا العظمى ، وكذا قام اليهود بجلد جنود بريطانيا العظمى .

وكان ذلك من أسباب جلاء بريطانيا العظمى عن فلسطين سنة ١٩٤٨ ووالله ورب المسيح والمسيحية لولا أن سدنة دولة بريطانيا العظمى من اليهود وخونة المسيح والمسيحية وأن الفاعلين من اليهود لسهل على بريطانيا الغير العظمى والمسيحية فقط ، مسح فلسطين بمن عليها انتقاماً لجنودها ودمهم المسفوح وشرفها المهان .

لكنها السيطرة اليهودية والتعصب البغيض ، وتمكن الصهيونية من القبض بيد فولاذية على بريطانيا العظمى شعباً وحكومة ، وأمريكا حكومة وشعباً ، وفرنسا وتركيا وإيران . الخ .

أما المسيح صلوات الله عليه ، فالله يرعاه ويرعى مقدساته وراثته وخلفاته ، وهو جل وعلا ولي المؤمنين .

٤ - اليهود والإسلام :

ما كاد الإسلام يتصل باليهود في المدينة بعد هجرة النبي صلوات الله عليه حتى شعر أخبار اليهود وحكائهم ودهاتهم بأن دولة باطلهم محكوم عليها بالمغيب والاندثار والضياع ، وأنه لزاماً عليهم إذا أرادوا بقاء دولتهم مقاومة الدعوة الجديدة بكل الوسائل لأنها تحمل إلى الشعوب قواعد بناء تكفي لإصلاح البشرية في كل زمان ومكان ، يحملها إلى الإنسانية بكافة شعوبها وأجناسها دون تمييز أو تفرقة ، النبي الذي بشرت به الأنبياء شعوبها من لدن آدم حتى ظهرت في زمانها ومكانها بين الشعب العربي في الوطن العربي ، على لسان النبي العربي محمد صلوات الله عليه .

لذلك حاول اليهود جاهدين وبكل ما أوتوا من قوة ووسائل ، يتعاون معهم كل الشياطين من إنس وجن ، محاولين وقف سير دعوة الإسلام أو هدمها إن أمكن . غير أن كل محاولاتهم هذه باءت بالفشل الذريع ، وذهبت أدراج الرياح ، كما ذهب القوم بما قدمت أيديهم من خيانة وغدر وكذب ونفاق الخ .

وبقى الإسلام يدعمه الحق والعدل والفضائل كلها ، غير أن أتباع الشياطين ورعوس الفساد لما يتسوا من النيل من هذا الدين القويم والدعوة الراشدة ، اتجهوا بما عرف عنهم من مكر وخداع بعد أن ارتدوا اسم الإسلام إلى شعوب المسلمين وهم حديثو عهد بالإسلام ، فبثوا بينهم بذور التفرقة العنصرية ، وعملوا على إذكاء الروح الجاهلية ومهدوا للشعبوية والدعوات الهدامة ، فتمكنوا من إشاعة الفتن والدسائس بين الناس . وقد تولى زعامة ذلك الفريق من اليهود كعب الأحبار الذي كان ثالث ثلاثة تأمروا على عمر بن الخطاب أعدل حاكم عرفه العالم في كل أطواره فقتلوه ، وتمكنوا بذلك من تفرقة المسلمين وإشاعة الشكوك والريب حول قسم من التشريع الإسلامي ، فوضعوا الحديث ووضعوا

أسباب الخلافات المذهبية ، ونشروا مبادئ الزندقة . وهكذا تمكنوا من محاربة الإسلام والمسلمين بالوسائل الدينية والانحطاط الخلقى ، الذى ظهرت نتائجه بعد حين فى الشعوب الإسلامية ، وهى مبادئ هدامة تنحصر فى الفقر تحت ستار الزهد والتقشف والجهل والضلال وتحت ستار العلم الدنى وعلم الحقيقة ، والذلة تحت ستار البعد عن الناس والكسل والخمول .

تلك هى اليهودية ودورها فى العالم الإسلامى قديماً ، أما اليوم فإن آثار تلك المبادئ لاتزال تنشر لواءها فوق ربوع العالم الإسلامى تحمل اسم الاستعمار . وقد وجد الاستعمار تعاوناً من زمرة من الحكام المسلمين ضعاف النفوس جهلاء لاحظ لهم من الحياة غير المظاهر الخداعة والعظمة الكاذبة ، يقدمون الطاعة والولاء للمستعمرين الخاضعين بدورهم للعال اليهودى والجمال اليهودى ، والنفوذ الصهيونى ، الذى استشرى وقويت شوكمته ، وصار له سلطان ليس فى فلسطين المسكينة فحسب ، بل قد تغافل وتمكن من السيطرة على دول كبرى . فأمريكا يسيطر عليها حكومة وشعباً شخصيات يهودية ، وبريطانيا كذلك وفرنسا أيضاً وألمانيا ودول أخرى ، وتجتمع تلك الشخصيات أو من ينوب عنها إلى مؤتمرات الصهيونية ، وهناك تقرر قرارات يعمل كل الأطراف فى جميع الدول بكل الوسائل على تنفيذها ، كلا بقدر اختصاصه الذى ينط به . وهكذا نرى أن الصهيونية هى التى فرقّت الشعوب . وأشعلت نار الحرب العالمية الأولى والثانية ، وهم يعملون جادين على إشعال نار الحرب الثالثة وأرجو أن لا يستطيعوا .

٥ — اليهود والعالم :

ليس من أسباب تمكن اليهود من كل ماتقدم العلم أو القوة ، إنما السبب المباشر هو انتشارهم وتغلغلهم فى كل شعوب العالم ، مما ساعدهم على فهم الكثير من عادات وأخلاق الشعوب ، ومكنهم من دراسات الاتجاهات كلها نسائية

ومالية وأخلاقية وسياسية . وبسبب ذلك تمكنوا من السيطرة على الكثير من الشخصيات الحاكمة في العالم ، ووسائلهم من أجل ذلك لا تتغير أبداً . فهي إتقان فنون الدعاية . وسائل وغايات واتجاهات . الاتجار بالحروب والأفكار البسمة كالشهير والتفرقة والفضائح الشخصية ، وهم يبدؤن دائماً بالسيطرة على من ليسوا بيهود بكل الوسائل ، سواء كانت فكرية أو مادية أو جنسية أو فضائح شخصية ، فإذا ماتت لهم السيطرة عملوا على خلق أجواء من التوتر والأزمات السياسية أو المالية أو الحربية ، وفق مصالحهم الخاصة وسياساتهم العامة ، والضحية في كل هذه الحالات الشعوب أو الأشخاص .

هكذا اليهود في العالم قبل قيام دولتهم بحماية أعوانهم في كل بلاد العالم عامة وفي بلاد العرب بصفة خاصة .

ولا شك في أن قيام دولة إسرائيل أفسد كل صلة تربط اليهودي بالوطن الذي ولد أو عاش فيه أو يقيم فيه . فاليهودي الأمريكي صار حتماً عليه أن يكون جاسوساً على أمريكا ، واليهودي الإنجليزي طابور خامس ضد بريطانيا لصالح دولة إسرائيل ، واليهودي الفرنسي طابور خامس أيضاً ، واليهودي الإفريقي طابور خامس في إفريقيا ، واليهودي العربي طابور خامس في بلاد العرب الخ .

وهكذا نرى مما تقدم أن قيام إسرائيل إنما هو فتنة عالمية أخلاقية ، أفسدت البقية الباقية من أخلاق اليهود إن كان لهم بقية خلقية ، وجعلت من اليهودي عدواً للبلد الذي ولد فيه وعاش فيه ، ونعم بخيراته ، بل أشعلت هذه الفتنة في صدر كل يهودي نار الضغينة والحقد والبغضاء للآخرين .

إلا أنني أعقد أن هذه النار لن ولن تحرق غير الصدور المنطوية عليها ، وإن فتنتهم لا بد أن تزول ، بل يجب أن يزول كل مجرم من هذا العالم .

أرجو الله سبحانه جلّت قدرته أن يجعل خلاص العالم من فتنهم وشروهم
وآثامهم وجرائمهم ، على أيدي أمة العرب تحت لواء منقذها العظيم ، وحامل
لواء عزتها وحامي حماها المؤيد من الله العليّ القدير ، الرئيس جمال عبد الناصر .

المنصورة

محمد أحمد السامى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لا إله إلا الله عدة للقاء الله

أما بعد حمد الله على ما ألهم به من الهداية ، وعصم عنه من الغواية .
والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين ، وعلى آله الطاهرين .

فإن سبيل من فضل من المباد بالفتانة والرشاد ، أن يجد في البحث عن
أحوال المعاد ، والتأمل لما أخذه عن الآباء والأجداد ، بعين الامتحان والانتقاد ،
فإن رآه فضيلة سما لإدراكها ، وإن ألفاه رذيلة نجا من أشراكها ، لتضحى
حقائمه بظاناً من الزاد ، فإن هاتف الموت لبالمرصاد ، ولن تحمد العقبي لمضيع
في تحصين شرعه ، وموزع موافقته على ما ينقاد إليه بطبعه . ولن يظفر بضالة
الحق إلا ناشدوها ، ولن يهدج الأباطيل على أنفسهم إلا معتدوها .

والغرض الأقصى من إنشاء هذه الكلمة : الرد على أهل اللجاج والعناد ،
وأن يظهر ما يغور كلمتهم من الفساد ، على أن الأئمة -- ضوعف ثوابهم --
قد انتدبوا لذلك ، وسلكوا في مناظرتهم اليهود أنواع المسالك ، إلا أن أكثر
مانظروا به لا يكادون يفهمونه أو لا يلتزمون به . وقد جعل الله إلى إخماسهم طريقاً
ما يتداولونه في أيديهم : من نص تنزيلهم ، وإعمالهم كتاب الله عند تبديلهم ،
ليكون حجة عليهم موجودة في أيديهم . وهذا أول ما ابتدئ به من إلزامهم .

الفسخ من نص كتابهم وما تقتضيه أصولهم :

أقول لهم : هل كان قبل نزول التوراة شرع أم لا ؟ فإن جحدوا كذبوا
بما نطق به الجزء الثاني من السفر الأول من التوراة . إذ شرع الله على نوح
عليه السلام القصاص في القتل ، ذلك قوله تعالى :

نص التوراة : (شُوفَيْخ دام ها أذم بأذام دامو ايسْتَفَيْخ كَيَّ يَصِيلَمَ الوهيم عاساً إت هاذاَم) .

تفسيره : سافك دم الإنسان فليحكم بسفك دمه . لأن الله تعالى خلق آدم بصورة شريفة .

وما يشهد به الجزء الثالث من السفر الأول من التوراة . إذ شرع على إبراهيم ختان المولود في اليوم الثامن من ميلاده . وهذه وأمثالها شرائع ، لأن الشرع لا يخرج عن كونه أسراً ونهيّاً من الله لعباده ، سواء نزل على لسان رسول ، أو كتب في أسفار ، أو ألواح أو غير ذلك . فإذا أقروا بأنه قد كان شرع . قلنا لهم : ماتقولون في التوراة ؟ هل أتت بزيادة على تلك الشرائع أم لا ؟ فإن قالوا : لا . فقد صارت عبثاً . إذ لازيادة فيها على ماتقدم ، ولم تغن شيئاً ، فلا يجوز أن تكون صادرة عن الله . فيلزمكم أن التوراة ليست من عند الله تعالى . وذلك كفر على مذهبكم .

وإن كانت التوراة أتت بزيادة ، فهل في تلك الزيادة تحرم ما كان مباحاً أم لا ؟ فإن أنكروا ذلك بطل قولهم من وجهين :

أحدهما : أن التوراة حرمت الأعمال الصناعية في يوم السبت بعد أن كان مباحاً ، وهذا بعينه هو النسخ .

والثاني : أنه لا معنى لزيادة في الشرع إلا تحريم ماتقدمت إباحته ، أو إباحة ماتقدم تحريمه .

فإن قالوا : إن الحكيم لا يحظر ، أى لا يحرم شيئاً ، ثم يبيحه ، لأن ذلك إن جاز مثله كان كمن أمر بشيء وضده .

فالجواب : أن من أمر بشيء وضده في زمانين مختلفين غير متناقض في أوامره ، وإنما يكون كذلك لو كان الأمران في وقت واحد .

فإن قالوا : إن التوراة حظرت أموراً كانت مباحة من قبل ، ولم تأت بإباحة محظور ، والنسخ المسكروه هو إباحة المحظور . لأن من أبيع له شيء فامتنع عنه وحظره على نفسه فليس بمخالف . وإنما المخالف من منع من شيء فأتاه باستباحته المحظور .

فالجواب : أن من أحل ما حظره الشرع في طبقة الحرم لما أحله الشرع . إذ كل منهما قد خالف المشروع . ولم يقرأ الكلمة على معاهدها . فإذا جاز أن يأتي شرع التوراة بتحريم ما كان إبراهيم عليه السلام ومن تقدمه عن استباحته ، فجائز أن تأتي شريعة أخرى بتحليل ما كان في التوراة محظوراً .

وأيضاً : فلا تخلو المحظورات من أن يكون تحريمها مفترضاً في كل الأزمنة ، لأن الله سبحانه يكره ذلك المحظور لعينه . وإما أن لا يكرهه الله لعينه ، بل نهى عنه في بعض الأزمنة . فإن كان الله نهى عن عمل الصناعات في يوم السبت لعين السبت ، فينبغي أن يكون هذا التحريم على إبراهيم ونوح وآدم أيضاً ، لأن عين السبت كانت أيضاً موجودة في زمانهم وهي على التحريم . وإذا كان ذلك غير محرم على إبراهيم ومن تقدمه فليس النهى عنه لعينه ، أعني في جميع أوقات وجود عينه ، وإذا لزمكم أن تحريم الصناعة في يوم السبت ليس تحريماً في جميع أوقات السبت ، فليس يمتنع أن ينسخ هذا التحريم في زمن آخر . وإذا ظهر قائم بمعجزات الرسالة وأعلام النبوة في زمن آخر بعد فترة طويلة فجائز أن يأتي بنسخ كثير من أحكام الشريعة ، سواء حظر مباحاتها أو أباح محظوراتها . وكيف يجوز أن تحتاج بالمينة باعتراض فيما ورد به من أمر ونهى ، سواء وافق العقول البشرية أو باينها ، ولا سيما أن الخصوص قد طالما تعبدوا بفرائض مباحنة للعقول ، كطهارة أنجاسهم برماد البقرة التي كان الإمام الهاروني يحرقها قبيل أوان الحج ، ونجاسة ظاهريهم بذلك الرماد بعينه .

على أن الذى يروم تنزيله منزلة هذا أقرب كثيراً إلى العقل فإن الأفعال والأوامر الإلهية منزهة عن الوقوف عند مقتضى العقول البشرية .

وإذا كانت التعبدات الشرعية غير عائدة بنفع الله عز وجل ، ولا دافعة عنه ضرراً لتنزيهه سبحانه وتعالى عن الانتفاع والتأذى بشيء ، فما الذى يحيل أو يمنع كونه تعالى يأمر أمة بشريعة ، ثم ينهى أمة أخرى عنها ، أو يحرم محظوراً على قوم ويحلّه لأولادهم ثم يحظره ثانياً على من يجيء بعدهم ؟ وكيف يجوز للمتعبدين أن يعارض الرسول فى تحليله ما كان حراماً على قوم ، ويستدل بذلك على كذبه بعد أن جاء بالبينة ، وأوعب العقلاء تصديقه وتحكيمه ، أليس هذا تحكماً وضلالاً ، وعدولاً عن الحق ؟ .

إنحاص اليهود والنصارى بالحجج العقلية وإلزامهم الإسلام :

لا يسع عقلاً أن يكذب نبياً ذا دعوة شائعة ، وكلمة قائمة ، ويصدق غيره . لأنه لم ير أحدهما ، ولا شاهد معجزاته . فإذا خص أحدهما بالتصديق ، والآخر بالكذب ، فقد تعين عليه الملام والإزاء عقلاً . ولنضرب لذلك مثلاً :

إذا سألنا يهودياً عن موسى عليه السلام ، وهل رآه وعين معجزاته ؟ فهو بالضرورة يقر بأنه لم يشاهد شيئاً من ذلك عياناً .

فنقول له : بماذا عرفت نبوة موسى وصدقه ؟ فإن قال : إن التواتر قد حقق ذلك ، وشهادات الأمم بصحته دليل ثابت فى العقل كما قد ثبت عقلاً وجود بلاد وأنهار لم نشاهدها وإنما تحققنا وجودها بتواتر الأنباء والأخبار .

قلنا : إن هذا التواتر موجود لمحمد صلى الله عليه وسلم وعيسى عليه السلام ، كما هو موجود لموسى عليه السلام ، فيلزمك التصديق بهما .

وإن قال اليهودى : إن شهادة أبى عندى بنبوة موسى هى شبه تصديق بنبوته .

قلنا له : ولم كان أبوك عندك صادقاً في ذلك ، معصوماً عن الكذب ؟
وأنت ترى الكفار أيضاً يعلمهم آباؤهم ما هو كفر عندك إما تعصباً من أحدهم
لدينه ، وكرهية لمباينة طائفته ، ومفارقة قومه وعشيرته ، وإما لأن آباءه وأشياخه
نقلوه إليه فتلقنه منهم ، معتقداً فيه الهداية والنجاة . فإذا كنت يا هذا قد ترى
جميع المذاهب التي تكفر بها قد أخذها أبناؤها عن آباؤهم كأخذ مذهبك عن
أبيك وكنت عالماً أن ما هم عليه ضلال وجهل . فيلزمك أن تبحث عما أخذته
عن أبيك من أن تكون هذه حالتك .

فإن قال : إن الذي أخذته عن أبي أصبح مما أخذته الناس عن آباؤهم . لزمه
أن يقيم البرهان على نبوة موسى من غير تقليد لأبيه لأنه قد ادعى صحة ذلك بغير
تقليد . وإن زعم أن العلة في صحة ما نقله عن أبيه أنه رجح آباءه على آباء الناس
بالصدق والمعرفة كما يدعى اليهود في حق آباؤهم ، لزمه أن يأتي بالدليل على أن
آباءه أعقل من سائر آباء الناس ، وأفضل . فإن هو ادعى ذلك فقد كذب فيه ،
لأن من ادعى مثل هذا يجب أن يستدل على فضائله بآثاره ، وقول اليهود
باطل . فإنهم ليس لهم من الآثار في العالم ما ليس لغيرهم مثله ، بل هم على الحقيقة
لا ذكر لهم بين الأمم الذين استخرجوا العلوم الدقيقة ودونوها لمن يأتي بعدهم .
وجميع ما نسب إليهم من العلوم مع ما استفادوه من علوم غيرهم لا يضاهي بعض
الفنون الحكيمة التي استخرجها حكماء اليونان ، والعلوم التي استنبطها النبط .
وأما تصانيف المسلمين فيستحيل لسكثرتها أن يقف أحد من الناس على جميع
ما صنفوه في أحد الفنون العلمية لسعته وكثرته . وإذا كان هذا موقعهم من
الأمم فقد بطل قولهم إن آباءهم أعقل الناس وأفضلهم وأحكمهم . ولهم أسوة
بسائر آباء الناس المماثلين لهم من ولد سام بن نوح عليهما السلام .

فإذا أقروا بتأسي آباؤهم بآباء غيرهم ، وقد علموا أن آباء غيرهم قد لقنوهم

الكفر . لزمهم أن شهادة الآباء لا يجوز أن تكون حجة في صحة الدين . فلا يبقى لهم حجة في نبوة موسى إلا شهادة التواتر ، وهذا التواتر موجود لعيسى ومحمد ، كوجوده لموسى .

وإذا كانوا قد آمنوا بموسى لشهادة التواتر بنبوته ، فقد لزمهم التصديق بنبوة المسيح والمصطفى عليهما السلام .

وجه آخر في إثبات النسخ وأصولها :

نقول لهم : فهل أنتم اليوم على ملة موسى عليه السلام ؟ .

فإن قالوا : نعم . قلنا لهم : أليس في التوراة « أن من لمس عظاماً ، أو وطئ قبراً ، أو حضر ميتاً عند موته ، فإنه يصير من النجاسة في حال لا طهارة له منها ، إلا برماد البقرة التي كان الإمام الهاروني يحرقها » فلا يمكنهم مخالفة ذلك ، لأنه نص ما يتداولونه .

فنقول لهم : فهل أنتم اليوم على ذلك ؟ فيقولون : لا نقدر على ذلك .

فنقول لهم : فكيف جعلتم أن من لمس العظم والقبر والميت فهو طاهر يصلح للصلاة وحمل المصحف ، والذي في كتابكم خلافه ؟

فإن قالوا : لأننا عدمننا أسباب الطهارة ، وهي رماد البقرة ، والإمام المطهر المستغفر .

قلنا : فهل ترون هذا الأمر مع عجزم عنه مما تستغنون عنه في الطهارة أم لا ؟

فإن قالوا : نعم . قد نستغنى عنه . فقد أقرؤا بالنسخ لتلك الفريضة لحال اقتضاها هذا الزمان .

وإن قالوا : لا نستغنى في الطهارة عن ذلك الطهور ، فقد أقرؤا بأنهم الأنجاس أبداً ، ما داموا لا يقدرّون على سبب الطهارة .

فنعقول لهم : فإذا كنتم أنجاساً على رأيكم وأصولكم ، فما بالكم تعتزلون الحائض بعد انقطاع الحيض وارتفاعه سبعة أيام ، اعتزالاً تفرطون فيه إلى حد أن أحدكم لو لمس ثوبه ثوب المرأة الحائض لاستنجستموه مع ثوبه ؟
فإن قالوا : لأن ذلك من أحكام التوراة .

قلنا : أليس في التوراة أن ذلك يراد به الطهارة ؟ فإذا كانت الطهارة قد فاتتكم فإن النجاسة التي أنتم فيها على معتقكم لا ترتفع بالغسل كنجاسة الحيض ، فهي كذلك أشد من نجاسة الحيض ، لما أنكم ترون أن الحائض طاهر إذا كانت من غير ملتكم ، ولا تستنجسون لامسها ، ولا الثوب الذي تلمسه ، وتخصيص الأمر ، أعني نجاسة الحائض لطائفكم مما ليس في التوراة ، فهذا كله منكم نسخ أو تبديل .

فإن قالوا : إن هذا وإن كان النص غير ناطق به فقد جاء في الفقه .

قلنا لهم : فما تقولون في فقهاءكم . هل الذي اختلفوا فيه من مسائل الخلاف والمذهب - على كثرتها لديكم - كان ثمرة اجتهاد واستدلال منقولاً بعينه ؟ فهم يقولون : إن جميع ما في كتب فقهاءنا نقله الفقهاء عن الأئمة عن الثقات من السلف ، عن يوشع بن نون عن موسى الكليم عليهما السلام عن الله تعالى . فيلزمكم في هذه المسألة الواحدة التي اختلف فيها اثنان من فقهاءكم أن يكون كل واحد منهما ينقل مذهبه فيها نقلاً مستنداً إلى الله عز وجل . وفي ذلك من الشناعة اللازمة أن يجعلوا الله قد أمر في تلك المسألة بشيء وخلافه وهو النسخ الذي يدفعونه بعينه .

فإن قالوا : إن الخلاف غير مستبعد ، لأن الأولين كانوا بعد اختلافهم في المذهب في المسألة يرجعون بها إلى أصل واحد هو المقطوع به .

قلنا : إن رجوعهم بعد الاختلاف إلى الاتفاق على مذهب واحد إما لأن

أحدهم رجع عما نقل أو طعن في نقله ، فيلزمه السقوط عن العدالة ، ولا يجوز لكم أن تعاودوا الالتفات إلى نقله ، وإما أن يكون الفقهاء اجتمعوا على نسخ أحد المذهبين ، أو تكون رواية أحدهما ناسخة لرواية الآخر ، وما من الفقهاء إلا قد ألغى مذهبه في مسائل كثيرة ، وهذا جنون ممن لا يقر بالنسخ^(١) ، ولا يرى كلام أصحاب الخلاف اجتهداً ونظراً ، بل نقلاً محضاً .

الزاصرهم الفسخ بوجه آخر :

نقول لهم : ما تقولون في صلواتكم وصومكم ، هل هي التي فارقكم عليها موسى عليه السلام .

فإن قالوا : نعم . قلنا : فهل كان موسى وأمته يقولون في صلواتهم كما تقولون : (تَقَاع شُوفَارْ كَاذُولْ لَحِيْرُوا ثَلْتُو وَسَانِيْسْ لَقْبُوصَيْنُو وَقَصَّلْنُو بِأَحَدْ تِيَارِهْ بَاعْ كَنْفُوثْ هَا اَرْضْ اَل نَوَى قَدْ شَيْخَا يَارُوحْ أَنَا أَدُونَايْ مَقْبِيصْ نَدْحِي عَمُّوَا يَارُوحْ بَرَاثِلْ) .

تفسيره : اللهم اضرب بطوق عظيم لمنقنا ، واقبضنا جميعاً من أربعة أقطار الأرض إلى قدسك ، سبحانك يا جامع تشيت قوم بني إسرائيل .

أم هل كانوا على عهد موسى عليه السلام يقولون كما تقولون في كل يوم : (هَاشِيْبْ شُوفَطِيْنُو كِبَارْ شِيُونَا وَيُوعَصِيْنُو كَبْتَحِلَا وَبْنْ أَشِيرْ بَرَشَا لَايْمْ عِيْرْ قَدْ شَخَا يَحْيَتُونَا حَمِينُو بَلْسَنَا نَايَارُوحْ أَنَا أَدُونَايْ بُوِيْ بَرُوشَا لَايْمْ) .

تفسيره : رد حكمانا كالأولين ، ومسراننا كالابتداء ، وابن يروشليم قرية قدسك في أيامنا وأعزنا بينائهما . سبحانك يا باني يروشليم .

(١) ليس كل ما تقدم نسخ وإنما هو تدرج في التشريع طبقاً لما تقتضيه حاجة الإنسان وتطوره إلى أن اكتمل التشريع الإلهي حال اكتمال العقل البشري والنضج الإنساني بظهور محمد رسول الله ونزول القرآن الكريم الذي اشتمل على كل التشريعات التي سبقته بعد أن هذبها وجعلها صالحة لكل زمان وعصر .

أما هذه فصول شاهدة بأنكم لفقتموها بعد زوال الدولة ؟
وأما صوم إحراق بيت المقدس وصوم حصاره وصوم كداليا الذي جعلتموه
فرضاً ، هل كان موسى يصومها وأمر بها هو أو خليفته يوشع بن نون ؟ أو صوم
صلب هامان ، هل هذه الأمور مفترضة بالتوراة ، أو زيدت لأسباب اقتضت
زيادتها في هذه الأعصار ؟

فإن قالوا : وكيف يلزمنا النسخ بهذه الآي . قلنا : لأن التوراة بهذه الآية
نطقت ، وهي : (لَوَثُوا سِيفُوا عَلْ هَذَا بَارَا شِيرَا نَوْضِي مُصَوَّى أَتْخِيم وَلَوْ تَغْر
عَدَّ مَمَّيْنُو) .

تفسيره : لا تزيدوا على الأمر الذي أنا موصيكم به شيئاً ، وإذا زدتم أشياء
من الفرائض فقد نسختم تلك الآية .

اثبات النسخ على وجه آخر :

نقول لهم : أليس عندكم إن الله اختار من بني إسرائيل الأبكار ليسكنوا
خواص في الخدمة للأقداس . فيقولون : بلى . فنقول لهم : أليس عندكم أيضاً
أن موسى لما نزل من الجبل ومعه الألواح ووجد القوم عاكفين على العجل ،
وقف بطرف العسكر ونادى : « من كان لله تعالى فليحضرني » فانضم إليه
بنو لاوى ولم ينضم إليه البكور ، على أن مناداته وإن كان لفظها يقتضى العموم
لم يكن أشار بها إلا إلى البكور ، إذ هم خاصه الله يومئذ ، دون أولاد لاوى .
فلما خذله البكور ونصره أولاد لاوى قال الله لموسى : (وَأَقْحِاثُ هَلُومِ ثَاثِ
كُلْ نَحْوَورِ بَنِي إِسْرَائِيلِ) .

تفسيره : وقد أخذت اللاويين عوضاً عن كل بكر في بني إسرائيل .

وفي عقيب نزول هذه الآية أليس إن الله عزل الأبكار عن ولاية

الاقتصاص وأخذ أولاد لاوى عوضاً عنهم ؟ فهم لا يقدرّون على إنكار ذلك .
وهذا يلزمهم منه القول بالبده أو النسخ .

الزاسمهم نبوة المسيح صلى الله عليه وسلم :

نقول لهم : أليس فى التوراة التى فى أيديكم :
(لو باسنور شبيط منجهوزا ومحقق ميّن دغلاو) .

تفسيره : لا يزول الملك من آل يهود أو الراسم من بين ظهرانيهم إلى أن
يأتى المسيح ، فلا يقدرّون على جحدده .

فنقول لهم : أما علمتم أنكم أصحاب دولة وملاك إلى ظهور المسيح ثم انقضى
لكم . فإن لم يكن لكم ملك فقد لزمكم من التوراة أن المسيح قد أرسل .

وأيضاً : فإننا نقول لهم : أليس منذ بعث المسيح عيسى عليه السلام استولت
ملوك الروم على اليهود وبيت المقدس ، وانقضت دولهم ، وتفرق شملهم ،
فلا يقدرّون على جحد ذلك إلا بالبهتان ، ويلزمهم على أصلهم الذى فى التوراة :
أن عيسى ابن مريم هو المسيح الذى ينتظرّونه .

الزاسمهم نبوته ونبوة المصطفى عليهما السلام :

نقول لهم : ماتقولون فى عيسى ابن مريم ؟

فيقولون : ولد يوسف النجار سفاحاً . كان قد عرف اسم الله الأعظم
فاستخدم كثيراً من الأشياء^(١) .

نقول لهم : أليس عندكم فى أصبح نقالكم : أن موسى عليه السلام قد أطلعه
الله تعالى على الاسم المركب من اثنين وأربعين حرفاً ، وبه شق البحر ، وعمل
المعجزات ؟ فلا يقدرّون على إنكار ذلك .

(١) وكيف تمكن من ... فقه اسم الله وهو ابن السفاح كما تزعمون ؟

فنقول لهم : فإذا كان موسى قد عمل المعجزات بأسماء الله تعالى ، فلم صدقتم نبوته وكذبتهم نبوة عيسى ؟

فيقولون : لأن الله تعالى علم موسى الأسماء ، وعيسى لم يتعلمها من الوحي ، ولكنه تعلمها من حيطان بيت المقدس .

فنقول لهم : فإذا كان الأمر الذي يتوصل به إلى عمل المعجزات قد يصل إليه من لا يختصه الله به ، ولا يريد تعليمه إياه . فبأى شيء جاز تصديق موسى ، فيقولون : لأنه أخذها عن ربه ؟

فنقول : وبأى شيء عرفتم أنه أخذها عن ربه ؟ فيقولون : بما تواتر من أخبار أسلافنا ؟

وأيضاً فإننا نلجئهم إلى نقل أسلافهم ، ونقول لهم : بماذا عرفتم نبوة موسى ؟ فإن قالوا : بما عمله من المعجزات . قلنا لهم : وهل فيكم من رأى هذه المعجزات ؟ ليس هذا لعمري طريقاً إلى تصديق النبوة ، لأن هذا كان يلزمكم منه أن تكون معجزات الأنبياء عليهم السلام باقية من بعدهم ، ليراها كل جيل بعد جيل ، فيؤمنوا به وليس ذلك بواجب ، لأنه إذا اشتهر النبي في عصر ، وصحت نبوته في ذلك العصر بالمعجزات التي ظهرت منه لأهل عصره ، ووصل خبره لأهل عصر آخر ، وجب عليهم تصديق نبوته واتباعه . لأن المتواترات والمشهورات مما يجب قبولها في العقل . وموسى عليه السلام ومحمد وعيسى صلوات الله عليهم في هذا الأمر متساوون .

ونقول : تواتر الشهادات بنبوة موسى أضعف من تواتر الشهادات بنبوة عيسى ومحمد عليهما السلام . لأن شهادة المسلمين والنصارى بنبوة موسى ليست إلا بسبب أن كتابيهما يشهدان له بذلك ، فتصديقهم بنبوة موسى فرع عن تصديقهم بكتابيهما . وأما معجزات القرآن فإنها باقية ، وإذا كانت باقية

فتلك فضيلة زائدة لا تحتاج إلى كونها سبب الإيمان . فأما من أعطى ذوق الفصاحة فإن إيمانه بإعجاز القرآن إيمان من شاهد المعجزات ، لا من اعتمد على الخبر ، إلا أن هذه درجة لم يرشح لها كل أحد .

فإن قالوا : إن نبينا يشهد له جميع الأمم ، فإن التواتر به أقوى ، فكيف تقولون إنه أضعف ؟ قلنا : كل اجتماع شهادات الأمم صحيح لديكم ؟ فإن قالوا : نعم . قلنا : فإن الأمم الذين قبلتم شهاداتهم مجتمعون على تكفيركم وتضليلكم . فيلزمكم ذلك ، لأن شهادتهم عندكم مقبولة .

فإن قالوا : لا نقبل شهادة أحد . لم يبق لهم تواتر إلا من طائفتهم ، وهي أقل الطوائف عدداً . فيصير تواترهم وشرعهم لذلك أضعف الشرائع . ويلزمهم مما تقدم أن كل من أظهر معجزات شهد بها التواتر مصدق في مقالته ويلزمهم من ذلك : التصديق بنبوة المسيح والمصطفى عليهما الصلاة والسلام .

فصل فيما يحكونه من عيسى عليه السلام

هم يزعمون أنه كان من العلماء ، وأنه كان يطبب المرضى بالأدوية ، ويوهمهم أن الانتفاع المُنال حصل لهم بدعائه . وأنه أبرأ جماعة من المرضى من أسقامهم في يوم السبت فأنكرت عليه اليهود ذلك ، فقال لهم : أخبروني عن الشاة من الغنم : إن وقعت في البئر يوم السبت ، أما تنزلون إليها وتحلون السبت لتخليصها ؟ قالوا : بلى . قال : فلماذا أحللتهم السبت لتخليص الغنم ، ولا تحلونه لتخليص الإنسان الذي هو أكبر حرمة من الغنم ؟ فأخفهم ولم يؤمنوا .

وأيضاً ، فإنهم يحكون عنه : أنه كان مع جماعة من تلاميذه في جبل ، ولم يحضرهم الطعام . فأذن لهم في تناول الحشيش في يوم السبت . فقال لهم أرايتم لو أن أحدكم كان وحيداً مع قوم على غير ملته ، وأمره بقطع النبات في يوم السبت وإلقائه لدوابهم أستم تجيزون له قطع النبات ؟ قالوا : بلى . قال فإن هؤلاء القوم أمرتهم بقطع النبات لئلاكلوه لينقذوا به أنفسهم ، لا للطعن في أمر السبت . كل ذلك ملاطفة منه لعقولهم التي لا ينطبع فيها النسخ .

لئن كان كل ما يحكونه من ذلك صحيحاً ، فلعلة كان في ابتداء أمر المسيح عليه السلام .

ذكر الآيات والعبرات :

التي في التوراة الدالة على نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم إنهم لا يقدرّون على أن يحددوا هذه الآية من الجزء الثاني من السفر الخامس من التوراة : (لاهم وهي تآبي أقيم مقارب احييم كامو خا ابلا وشياعون) . تفسيره : نبياً أقيم لهم لا بهيم من وسط إخوتهم مثلك به فليؤمنوا . وإنما أشار بهذا إلى أنهم يؤمنون بمحمد صلى الله عليه وسلم .

فإن قالوا : إنه قال : من وسط إخوتهم ، وليس في عادة كتابنا أنه يعنى بقوله « إخوتهم » إلا بنى إسرائيل .

قلنا : بلى ، قد جاء في التوراة « إخوتهم » لبنى العيص . وذلك في الجزء الأول من السفر الخامس وهو قوله :

(ايم عوبريم بقبول احييم بنى عيسى وهوشيم بسيعير) .

تفسيره : أنتم عابرون في تحتم إخوتكم بنى العيص المقيمين في سيعير ، إياكم أن تطعموا في شيء من أرضهم .

فإذا كان بنو العيص إخوة لبنى إسرائيل ، لأن العيص وإسرائيل ولدا إسحاق ، فكذلك بنو إسماعيل إخوة لجميع ولد إبراهيم .

وإن قالوا : إن هذا القول إنما أشير به إلى شموائل النبي عليه السلام . لأنه قال « من وسط إخوتهم مثلك » وشموائل كان مثل موسى لأنه من أولاد لاوى ، يعنون من السبط الذى كان منه موسى عليه السلام .

قلنا لهم : فإن كنتم ضادقين فأى حاجة بكم إلى أن يوصيكم بشموائل ، وأنتم تقولون : إن شموائل لم يأت بزيادة ولا نسخ ؟ أشفق من أن لا تقبلوه : لأنه إنما أرسل ليقوى أيديكم على أهل فلسطين ، وليردكم إلى شرع التوراة ، وبين سنة ؟ فأنتم أسبق الناس إلى الإيمان ، به لأنه إنما يخاف تكذيبكم لمن ينسخ مذهبكم ، ويغير أوضاع ديانتكم ، فالوصية بالإيمان به مما لا يستغنى مثلكم عنه . ولذلك لم يكن بموسى حاجة إلى أن يوصيكم بالإيمان بنبوة أرميا وأشعيا وغيرهما من الأنبياء .

وهذا دليل على أن التوراة أمرتهم في هذا الفصل بالإيمان بالمصطفى واتباعه صلى الله عليه وسلم .

المرسلة إلى اسم صلى الله عليه وسلم في التوراة :

قال الله تعالى في الجزء الثالث من السفر الأول من التوراة ، مخاطباً لإبراهيم الخليل عليه السلام : « وأما في إسماعيل فقد قبلت دعائك ، قد باركت فيه وأثمره وأكثره جداً جداً » .

ذلك قوله (وليشما عيل شمتيخا هني بيراختي او ثوو هفريقي او ثوو هريثي بماد ماد) .

فهذه الكلمة « بماد ماد » إذا عددنا حساب حروفها بالجل وجدناه اثنين وتسعين ، وذلك عدد حساب حروف « محمد » صلى الله عليه وسلم . فإنه أيضاً اثنان وتسعون . وإنما جعل ذلك في هذا الموضع ملفزاً . لأنه لو صرح به لبدلته اليهود وأسقطته من التوراة . كما عملوا في غير ذلك .

فإن قالوا : إنما يوجد في التوراة عدة كلمات مما يكون حساب حروفه متساوياً لعدد حساب حروف اسم زيد ، وعمر ، وخالد ، فيكونون أنبياء ؟

فالجواب : أن الأمر كما يقولون لو كان لهذه الآية أسوة بغيرها من كلمات التوراة ، لكنا نقيم البراهين والأدلة على أنه لا أسوة لهذه الكلمة بغيرها في سائر التوراة . وذلك أنه ليس في التوراة من الآيات ما حاز به إسماعيل الشرف كهذه الآية . لأنها وعد من الله تعالى لإبراهيم بما يكون من شرف إسماعيل ، وليس في التوراة آية أخرى مشتملة على شرف لقبيلة زيد وعمر وخالد وبكر ، كما أنه ليس في هذه الآية كلمة تساوى « بماد ماد » التي معناها « جداً جداً » وذلك أنها كلمة المبالغة من الله سبحانه وتعالى ، فلا أسوة لها من كلمات الآية المذكورة . وإذا كانت هذه الآية أعظم الآيات مبالغة في حق إسماعيل وأولاده ، وكانت تلك الكلمة أعظم مبالغة من باقي كلمات تلك الآية ،

فلا عجب أن تتضمن الإشارة إلى أجل أولاد إسماعيل شرفاً ، وأعظمهم قدراً محمد صلى الله عليه وسلم .

وإذ قد بينا أنه ليس لهذه الكلمة أسوة بغيرها من كلمات هذه الآية ، ولا لهذه الآية أسوة بغيرها من آيات التوراة فقد بطل اعتراضهم .

ذكر الموضع الذي أُسِر فيه إلى :

نبوة الكليم والمسيح والمصطفى عليهم السلام وهو :
(واما رادوناي اتسكلى وريفور يعاريه سيعير انخرى لانا استخنى بعبوريته
على طور دافاران وعمه ربوان قد يشيز) .

تفسيره : قال الله تعالى « من سيناء تجلى ، وأشرق نوره من سيعير ، واطلع من جبال فاران ، ومعه ربوات المقدسين » .

وهم يعلمون أن جبل سيعير هو جبل الشراة الذي فيه بنو العيص الذين آمنوا بالمسيح عيسى عليه السلام . بل في هذا الجبل كان مقام المسيح عليه السلام . وهم يعلمون أن سيناء هو جبل الطور ، لكنهم لا يعلمون أن جبل فاران هو جبل مكة . وفي الإشارة إلى هذه الأماكن الثلاثة التي كانت مقام نبوة هؤلاء الأنبياء للعقلاء أن يبحثوا عن تأويله المؤدى إلى الأمر باتباع مقالاتهم . فأما الدليل الواضح من التوراة على أن جبل فاران هو جبل مكة : فهو أن إسماعيل لما فارق أباه الخليل عليهما السلام سكن إسماعيل في بركة فاران ، ونطقت التوراة بذلك في قوله :

(ويثب بمديار فاران وتقاح لوا موا أشامثا يرص مصرايم) .

تفسيره : وأقام في بركة فاران وأنكحته أمه امرأة من أرض مصر .
فقد ثبت من التوراة أن جبل فاران مسكن لآل إسماعيل . وإذا كانت التوراة قد أشارت في الآية التي تقدم ذكرها إلى نبوة تنزل على جبل فاران لزم

أن تلك النبوة على آل إسماعيل ، لأنهم سكان فاران . وقد علم الناس قاطبة أن المشار إليه بالنبوة من ولد إسماعيل هو محمد صلى الله عليه وسلم ، وأنه بعث من مكة التي كان فيها مقام إبراهيم وإسماعيل . فدل ذلك على أن جبال فاران هي جبال مكة ، وأن التوراة أشارت في هذه المواضع إلى نبوة المصطفى صلى الله عليه وسلم وبشرت به ، إلا أن اليهود — لجهلهم وضلالهم — لا يجوزون الجمع بين هاتين العبارتين من الآيتين ، بل يسمون بالمقدمتين ويحددون النتيجة ، لفرط جهلهم . وقد شهدت عليهم التوراة بالإفلاس من الفطنة والرأى . ذلك قوله تعالى : (كي غوى أوباذ عيصون هيا وابن باهم تسونا) .

تفسيره : إنهم لشعب عادم الرأى ، وليس فيهم فطنة .

في إبطال ما يدعونه من محبة الله تعالى إياهم :

هم يزعمون أن الله سبحانه وتعالى يحبهم دون جميع الناس ، ويحب طائفتهم وسلالتهم ، وأن الأنبياء والصالحين لا يختارهم الله تعالى إلا منهم ، ونحن نناظرهم على ذلك .

فنقول لهم : ما قولكم في أيوب النبي عليه السلام ؟ أتقرون بنبوته ؟ فيقولون : نعم .

فنقول لهم : ما تقولون في جمهور بنى إسرائيل ، أعنى التسعة أسباط والنصف الذين أغواهم برعام بن نباط الذي خرج على ولد سليمان بن داود ، ووضع لهم الكباشين من الذهب وعكف على عبادتهم جماعة من بنى إسرائيل وأهل جميع ولاية دار ملكهم الملقب يومئذ شورمون ، إلى أن جرت الحرب بينهم وبين السبطيين والنصف الذين كانوا مؤمنين مع ولد سليمان ببيت المقدس ، وقتل معهم في معركة واحدة خمسمائة ألف إنسان . فما تقولون في أولئك القتلى بأسرهم ، وفي التسعة أسباط ونصف ، هل كان الله يحبهم لأنهم إسرائيليون ؟

فيقولون : لا ، لأنهم كفار .

فنقول لهم : أليس عندكم في التوراة ، أنه لافرق بين الدخيل في دينكم وبين الصريح النسب منكم ؟ فيقولون : بلى ، لأن التوراة ناطقة بهذا :
(ككيركا از راخ كاخيم بيهي لقي أدوناي) .

تفسيره : إن الأجنبي والصريح النسب سواء بينكم عند الله .

(توراحات ومتنقاط ايجاد يهي لاخيم ولكيرهكار بشوحجيم) .

تفسيره : شريعة واحدة وحكم واحد يكن لكم وللغريب الساكن فيما بينكم .

وبهذا اضطررناهم إلى الإقرار بأن الله لا يحب الضالين منهم ويجب المؤمنين من غير طائفتهم ، ويتخذ أوليائه وأنبياءه من غير سلالتهم ، فقد نفوا ما ادعوه من اختصاص محبة الله سبحانه وتعالى لطائفتهم من بين المخلوقين .

فصل فى ذكر طرف من كفرهم وتبديلهم

إن سبيل ذوى التحصيل أن يحتنبوا الرذائل ، وينفروا مما قبسح فى العقول السليمة ، ورجح زيفه عند الأفهام المستقيمة . ولهذا الطائفة من الفنون الضالاية والاختلال ماتنبو عن مثله العقول ، ويخالفه المشروع والعقول .

فمن ذلك : أنهم مع ذهاب دولتهم وتفرق شملهم وعلمهم بالغضب المدود عليهم ، يقولون كل يوم فى صلواتهم : إنهم أبناء الله وأحباؤه ، وذلك قولهم كل يوم فى الصلاة :

(اهبات عولام اهبتانو أدوناي الوهينو) .

تفسيره : الدهر أجبتنا يا إلهنا .

(هتبيوا بينو التورا تخينا) .

تفسيره : ارددنا يا أبانا إلى شريعتك .

(أابينوا ملكينو الوهينو) .

تفسيره : يا أبانا يا ملكنا يا إلهنا .

(أنا أدوناي أابينوا كوالينوا) .

تفسيره : أنت اللهم أبونا منقذنا .

(وايت كل رود فى يانخا واويبي عدا شخا كوا لام كساموا أيام إيه ساد

ميهم لونوا أثار) .

تفسيره : وجميع الذين اقتفوا أثر نبيك واعداء جماعتك كلمهم عبروا البحر

واحد منهم لم يبق .

ويمثلون أنفسهم بعناقيد العنب ، وسائر الأمم بالشوك المحيط بأعلى حيطان

الكرم . وهذا من قلة عقولهم ونظرهم ، فإن المعنى بمصالح الكرم إنما يجعل على

حيطانه الشوك حفظاً وحياطة للكرم . ولسنا نرى لليهود من بقية الأمم إلا الضرر

والذل والصغار ، وذلك مبطل لقولهم . وينتظرون قائماً يأتيهم من نسل داود ، إذا حرك شفقيته بالدعاء مات جميع الأمم ولا يبقى إلا اليهود وأن هذا المنتظر بزعمهم هو المسيح الذي وعدوا به . وقد كان الأنبياء عليهم السلام ضربوا لهم أمثالا أشاروا بها إلى جلالة دين المسيح عليه السلام وخضوع الجبارين لأهل ملته وإتيانه بالنسخ العظيم .

فمن ذلك قول شعيا في نبوته :

(وغازائب عم كيش يحذا ويربضوا شنيهم وفارا واذوب ترعينا وارياء كبا قارابوخل تبين) .

تفسيره : أن الذئب والكبش يرعيان جميعاً ويريضان معاً ، وأن البقرة والذب يرعيان جميعاً ، وأن الأسد يأكل التبن كالبقرة .

فلم يفهموا من تلك الأمثال إلا صورها الحسية دون معانيها العقلية ، فتأولوها على الإيمان بالمسيح عند مبعثه ، وأقاموا ينتظرون الأسد يأكل التبن ، وتصح لهم حينئذ اللائم بمبعث المسيح .

ويعتقدون أيضاً أن هذا المنتظر متى جاءهم يجمعهم بأسرهم إلى القدس ، وتصير لهم الدولة ويخلو العالم من سواهم ، فيحجم الموت عن جنابهم المدة الطويلة . وسبيلهم أن يعولوا على متابعة الأسود في غاباتها ، وطرح التبن بين أيديها ، ليعلموا وقت أكلها إياه .

وأيضاً ، إنهم في العشر الأول من الشهر الأول من كل سنة ، يقولون في صلاتهم :

(الوهيبود الوهي ايوثينو ملوخ على كل يوشىء تبيل ارصيحا ويومار كول اشبرنشا ماباقو أدوناى الوهي يسرائيل مالاخ وملخوثو ايلول ماشالا) .

تفسيره : يا إلهنا وإله آبائنا املك على جميع أهل الأرض ليقول كل ذى

نسمة الله إله إسرائيل قد ملك ومملكته في الكل متسلطنة .

ويقولون في هذه الصلوات أيضاً : وسيكون لله الملك وفي ذلك اليوم يكون الله واحد . ويعنون بذلك أنه لا يظهر أن الملك لله إلا إذا صارت الدولة إلى اليهود الذين هم أمته وصفوته . فأما مادامت الدولة لغير اليهود فإن الله حامل الذكر عند الأمم ، وأنه مطعون في ملكه ، مشكوك في قدرته . فهذا معنى قولهم : اللهم أملك على جميع أهل الأرض ومعنى قولهم : وسيكون الملك لله .

ومما ينخرط في هذا السلك قولهم :

(لا مايوسر وهو كويم إلى أنا الوهم) .

تفسيره : لم تقول الأمم أين إلههم ؟

(وقولهم عور إلما يثشنان ادوناي هاقيصا مشائخا) .

تفسيره : انتبه ، لم تنام يارب ؟ استيقظ من رقدتك ؟ .

وهؤلاء إنما نطقوا بهذه الهذيان والكفريات من شدة الضجر من الذل والعبودية والصغار ، وانتظار فرج لا يزداد منهم إلا بعداً ، فأوقعهم ذلك في الطيش والضجر ، وأخرجهم إلى نوع من الزندقة والهذيان الذي لا تستحسنه إلا عقولهم الركيكة . فتجروا على الله بهذه المناجاة القبيحة ، كأنهم ينخون الله بذلك لينخى لهم ويحمى لنفسه ، لأنهم إذا ناجوا ربهم بذلك فكأنهم يخبرونه بأنه قد اختار الخول لنفسه وينخونه للنباهة واشتہار الصيت ، فتري أحدهم إذا تلا هذه الكلمات في الصلاة يقشعر جلده ، ولا يشك في أن كلماته تقع عند الله تعالى بموقع عظيم ، وإنه يؤثر في ربه ، ويحركه بذلك ، ويهزه وينخيه . وهؤلاء على الحقيقة ينبغي أن يرحم جهلهم وضعف عقولهم .

وأيضاً ، فإن عندهم في توراتهم : أن موسى صعد الجبل مع مشايخ أمته

فأبصروا الله جهرة ، وتحت رجله كرسى منظره كمنظر البلور ، ذلك قوله :

(و تراءى ويث الوهى يسرائيل وثا حث رعلاي كراى كبنثا هشيخير
وخعيصم هشاماي لا طوهره) .

ويزعمون أن اللوحين مكتوبين بأصبع الله ، ذلك قولهم (بأصباع الوهم) ويطول
الكتاب إن عددنا ما عندهم من كفرات التجسيم ، على أن أحبارهم قد تهذبوا
كثيراً عن معتقد آبائهم بما استفادوه من عندهم ، بما يدفع عنهم إنكار المسالين
عليهم ، ما تقتضيه الألفاظ التي فسروها ونقلوها ، وصاروا متى سئلوا عما عندهم
من هذه الفضاخ استتروا بالجحد والبهتان ، خوفاً من فظيع ما يلزمهم من الشناعة .
ومن ذلك : أنهم ينسبون الله تعالى إلى الندم على ما يفعل .

فمن ذلك قولهم في التوراة التي في أيديهم :

(ويناجم أدوناي كي عاسا اذام أرض ويتعصب ال لبوه) .

تفسيره : وندم الله على خلق البشر في الأرض وشق عليه .

وقد أفرط المترجم في تعصبه وتحريفه للألفاظ عن موجب اللغة ، وفسر
(ويناجم أدوناي وناب أدوناي تميمريه) يعني . غار الله في رأيه .

وهذا التأويل أيضاً وإن كان غير موافق اللغة فهو أيضاً كفر ، مناقض
لما يدفعونه من البدء والنسخ .

وأما الدليل على تفسيره (وبتعصيب ال لبوه) وشق عليه . فهو ما جاء
في مخاطبة حواء (بتعصيب تيلدى بانيم) .

تفسيره : بمشقة تلدين الأولاد .

فقد تبين أن « العصيب » عندهم في اللسان العبراني : هو المشقة . وهذه
الآية عندهم في قوم نوح ، زعموا أن الله تعالى لما رأى فساد قوم نوح ، وأن شرهم
وكفرهم قد عظم ندم على خلق البشر وشق عليه . ولا يعلم البله أن من يقول

بهذه المقالة يلزمه أن الله كان قبل أن يخلق البشر لم يكن عالماً مما سيكون من قوم نوح وغير ذلك من النقص تعالى الله عما يكفرون .

وعندهم : أن الله تعالى قال لشموائيل النبي عليه السلام (ات أول لميلخ على إسرائيل) .

تفسيره : ندمت إذ وليت شاءول على إسرائيل .

وفي موضع آخر من سفر شموائيل (وادوناي يخام كي همليح اث شاءول على إسرائيل) .

تفسيره : والله ندم على تمليكه شاول على إسرائيل .

وأيضاً فإن عندهم في كتابهم أن نوحاً الأنبي عليه السلام لما خرج من السفينة بدأ ببناء مذبح لله تعالى وقرب عليه قربانين . ويتلو ذلك (ويارح ادوناي ايث ريخ هينمحورح ويومزادوناي ال لبواوسيف عود لقليل اث لهاذا ماياصيور هاذاام كي يبصر كيب هاذاام راغ منعمورا وولو اوسيف عوز لهكوث اث كل حاي طاشيرعاسيئي) .

تفسيره : فاستنشق الله تعالى رائحة القنار . فقال الله تعالى ، في ذاته : لن أعاود لعنة الأرض بسبب الناس لأن خاطر البشرى مطبوع على الردة . ولن أعاود إهلاك جميع الحيوان كما صنعت .

ولسنا نرى أن هذه الكفريات كانت في التوراة المنزلة على موسى عليه السلام . ولا نقول أيضاً : إن اليهود قصدوا تغييرها وإفسادها بل الحق أولى ما تتبع . ونحن نذكر الآن حقيقة سبب تبديل التوراة .

ذكر السبب في تبديل التوراة :

علمائهم وأخبارهم يعلمون أن هذه التوراة التي بأيديهم لا يعتقد أحد منهم أنها المنزلة على موسى ألبتة . لأن موسى صان التوراة عن بني إسرائيل ، ولم

يبنها فيهم . وإنما سلمها إلى عشيرته أولاد لاوى ودليل ذلك قول التوراة :

(ويختوب موسى اث هتود هزوث وتيناه الهكوهيم بنى ليوى)

تفسيره : وكتب موسى هذه التوراة ودفعها إلى الأئمة بنى لاوى وكان بنو هارون قضاة اليهود وحكامهم . لأن الإمامة وخدمة القرايين وبيت المقدس كانت موقوفة عليهم . ولم يبذل موسى من التوراة لبنى إسرائيل إلا نصف سورة يقال لها (هازينوا) فإن هذه السورة من التوراة هي التي علمها موسى لبنى إسرائيل . وذلك قوله :

(ويختوب موسى اث هثيرا هزرت ويلمذاه لبنى إسرائيل)

تفسيره : وكتب موسى هذه السورة وعلمها بنى إسرائيل .

وأيضاً ، فإن الله قال لموسى عن هذه السورة :

(وها يثالى هشيراهزوث لعيد بنى إسرائيل)

تفسيره : وتكون لى هذه السورة شاهداً على بنى إسرائيل .

وأيضاً ، فإن الله قال لموسى عن هذه السورة :

(كى لو نشا خاخ مفي زرعوا)

تفسيره : لأن هذه السورة لا تنسى من أفواه أولادهم . يعنى أن هذه السورة مشتملة على ذم طباعهم ، وأنهم يخالفون شرائع التوراة ، وأن السخط يأتهم بعد ذلك ويخرب ديارهم ويشتتون فى البلاد . قال : فهذه السورة تكون متداولة فى أفواههم كالشاهد عليهم ، والموافق لهم على صحة ما قيل لهم . فهذه السورة لما قال الله عنها : أنها لا تنسى من أفواه أولادهم دل ذلك على أن غيرها من السور تنسى .

وأيضاً ، فإن هذا دليل على أن موسى لم يعط بنى إسرائيل من التوراة إلا هذه السورة . فأما بقية التوراة فدفعها إلى أولاد هارون وجعلها فيهم ، وصانها

عن سواهم . وهؤلاء الأئمة الهارونيون الذين كانوا يعرفون التوراة ويحفظون أكثرها قتلهم بخت نصر على دم واحد ، يوم فتح بيت المقدس . ولم يكن حفظ التوراة فرضاً ولا سنة بل كان كل واحد من الهارونيين يحفظ فصلاً من التوراة . فلما رأى عزرا أن القوم قد أحرق هيكلكم ، وزالت دولتهم ، وتفرق جمعهم ورفع كتابهم جمع من محفوظاته ، ومن الفصول التي يحفظها الكهنة ما لفق منه هذه التوراة التي في أيديهم . ولذلك بالغوا في تعظيم عزرا هذا غاية المبالغة . وزعموا أن النور إلى الآن يظهر على قبره الذي عغد البطائح بالعراق . لأنه عمل لهم كتاباً يحفظ لهم دينهم . فهذه التوراة التي في أيديهم على الحقيقة كتاب عزرا . وليست كتاب الله . وهذا يدل على أنه — أعني الذي جمع هذه الفصول التي بأيديهم — رجل فارغ ، جاهل بالصفات الإلهية . فلذلك نسب إلى الله تعالى صفات التجسيم ، والندم على ما مضى من أفعاله ، والإقلاع عن مثلها ، وغير ذلك مما تقدم ذكره .

وأيضاً : فما يستدل به على بطلان تأويلاتهم وإفراطهم في التعصب ، وتشديد الأمر ، ما ذكره في هذه الآية :

(ريشيب بكورى إذ ماتمخا تابى بيت ادوناى الوهينى لوتبشيل كذى باحليب أمو) .

تفسيره : بكور ثمار أرضك تحمل إلى بيت الله ربك ، لا ينضج الجدى بلبن أمه .

والمراد من ذلك : أنهم أمروا عقيم افتراض الحج عليهم أن يستصحبوا معهم إذا حجوا إلى القدس أبكار أغنامهم ، وأبكار مستغلات أرضهم . لأنه قد فرض عليهم قبل ذلك أن تبقى سخول البقر والغنم وراء أمهاتها سبعة أيام . ومن اليوم الثامن فصاعداً تصلح أن تكون قرباناً لله . فأشار في هذه الآية في

تقوله (لا ينضج الجدى بلبن أمه) إلى أنهم لا يبالغون في إطالة مكث بكور أولاد البقر والغنم وراء أمهاتها . يستصحبون أبكارها اللاتي قد عبرت سبعة أيام من ميلادها معهم إذا حجوا إلى البيت المقدس ليتخذوا منها القرابين .

فتوهم المشايخ البله المترجمون لهذه الآية والمفسرون لمعانيها : أن المشرع يريد بالإنضاج هاهنا إنضاج الطبيخ في القدر . وهبهم صادقين في هذا التفسير فلا يلزم من تحريم الطبخ تحريم الأكل ، إذ لو أراد المشرع تحريم الأكل لما منعه مانع من التصريح بذلك .

وما كفاهم هذا الغلط في تفسير هذه اللفظة حتى حرموا أكل سائر اللحمان باللبن ، وهذا مضاف إلى ما يستدل به على جهل المفسرين والنقلة ، وكذبهم على الله تعالى ، وتشديد الأكل على طائفتهم .

فأما الدليل على تفسيره « تبيل » الإنضاج ، الذي هو البلوغ فهو : قول رئيس السعاة ليوسف الصديق ، وهو في السجن ، إذ شرح له رؤياه ، فقال في جملة كلامه :

(وبكيفية شلوشا سارنعم وهي خفورا أحب عالشا نصاه هلبشيلوا اثيها غنايم) .
تفسيره : وفي الكرمة ثلاثة عناقيد . وهي كأنها قد أثمرت وصعد نورها ، ونضحت عناقيدها عنبا .

فقد تبين أن الإنضاج الذي يعبر عنه (بالهيشيلو) إنما هو البلوغ .

ولا ينبغي للماعقل أن يستبعد اصطلاح كافة هذه الطائفة على الحال واتفاقهم على فنونهم من الكفر والضلال ، فإن الدولة إذا انقضت عن أمة باستيلاء غيرها ، وأخذها بلادها ، انطمست حقائق سالف أخبارها ، واندرس قديم آثارها ، وتعدر الوقوف عليها ؛ لأن الدولة إنما يكون زوالها عن أمة بتتابع الغارات والمضايقات وإخراب البلاد وإحراق بعضها ، فلا تزال هذه الفنون متتابعة إلى

أن تستحيل علومها جهلاً وآثارها تلالاً ، وكلما كانت الأمة أقدم واختلفت عليها الدول المتناولة لها بالإذلال ، كان حظها من اندراس الآثار أكثر ، وهذه الطائفة بلاشك أعظم الطوائف حظاً مما ذكرنا لأنها من أقدم الأمم عهداً ، ولكثرة الأمم التي استولت عليها ، مثل الكلدانيين والبابليين والفرس واليونان والنصارى والإسلام . وما من هذه الأمم إلا من قصدهم أشد القصد ، وطلب استئصالهم ، وبالغ في إحراق بلادهم وإخربائها وإحراق كتبهم إلا المسلمين ، فإن الإسلام صادق اليهود تحت ذمة الفرس ، ولم يبق لهم مدينة ولا جيش إلا العرب المتهودة بخير . وأشد على اليهود من جميع هذه الممالك ما نالهم من ملوكهم العصاة مثل أجايوا خرباً وأمصيا وبهورام وبرعام بن نباط وغيرهم من الملوك الإسرائيليين الذين قتلوا الأنبياء وبالغوا في تطليعهم ليقتلوهم ، وعبدوا الأصنام ، وأحضروا من البلاد سدة الأصنام لتعظيمها وتعليم رسوم عبادتها وابتنوا لها البيع والهياكل ، وعكف على عبادتها الملوك ومعظم بنى إسرائيل ، وتركوا أحكام التوراة والشرع مدة طويلة وأعصاراً متصلة .

فإذا كان هذا تواتر الآفات عليهم من قبل ملوكهم ومن أنفسهم ، فما ظنك بالآفات المتفننة التي تواترت عليهم من استيلاء الأمم فيما بعد ، وقتلهم أئمتهم ، وإحراقهم كتبهم ، ومنعهم إياهم عن القيام بشرائعهم ، فإن الفرس كثيراً ما منعهم عن الختان وكثيراً ما منعهم عن الصلاة ، لمعرفتهم بأن معظم صلوات هذه الطائفة دعاء على الأمم بالبوار وعلى العالم بالخراب ، سوى بلادهم التي هي أرض كنعان .

فلما رأت اليهود الجد من الفرس في منعهم من الصلاة اخترعوا أدعية زعموا أنها فصول من صلواتهم وسموها الخزنة ، وصاغوا لها ألحاناً عديدة ، وصاروا يجتمعون أوقات صلواتهم على تلحينها وتلاوتها .

والفرق بين هذه الخزانة وبين الصلاة أن الصلاة بغير لحن وأن المصلي يتلو الصلاة وحده ولا يجهر معه غيره ، وأما الخزانة فيشاركه جماعة في الجهر بالخزانة ويماونونه في الألحان . وكانت الفرس إذا أنكرت ذلك منهم زعمت اليهود أنهم يغنون أحياناً وينوحون أحياناً على أنفسهم فتركوهم وذاك .

ومن العجب أن دولة الإسلام لما جاءت مقرة لأهل الذمة على ديارتها ، وصارت الصلاة مباحة لهم ، صارت الخزانة عند اليهود من السنن المستحبة في الأعياد والمواسم والأفراح ، يحملونها عوضاً عن الصلاة ، ويستغنون بها عنها ، من غير ضرورة تبعثهم على ذلك .

فصل فيما يعتقدونه في دين الإسلام

هم يزعمون أن المصطفى صلى الله عليه وسلم كان قد رأى أحلاماً تدل على أنه صاحب دولة ، وأنه سافر إلى الشام في تجارة الخديجة رضى الله عنها واجتمع بأحبار اليهود وقص عليهم أحلامه ، فعلموا أنه صاحب دولة ، زعموا . فأصبحوه عبد الله بن سلام ، فقرأ عليه علوم التوراة وفقهها مدة ، زعموا . وأفرطوا في دعواهم إلى أن نسبوا الفصاحة المعجزة التي في القرآن إلى تأليف عبد الله بن سلام ، وأنه قرر في شرع النكاح : أن الزوجة لا تستحل بعد الطلاق الثلاث إلا بنكاح رجل آخر ليجعل بزعمهم أولاد المسلمين (مميز) وهذه كلمة جمع واحدة (مميز) وهو اسم لولد الزنا ، لأن في شرعهم أن الزوج إذا راجع زوجته بعد أن نكحت غيره كان أولادها معدودين في أولاد الزنى . فلما كان النسخ مما لا ينطبع في عقولهم فهمه ذهبوا إلى أن الحكم في شرع النكاح من موضوعات عبد الله بن سلام ، قصد به أن يجعل أولاد المسلمين (مميز) بزعمهم .

ثم أكثر العجب منهم أنهم جعلوا داود النبي عليه السلام (مميز) من وجهين ، وجعلوا منتظرهم (مميز) من وجهين وذلك أنهم لا يشكون في أن داود ابن نيساي بن عابد ، وأبو هذا عابد يقال له «بوعز» من سبط يهوذا . وأمه يقال لها روث الموابية من بني مواب . وهذا مواب منسوب عندهم في نص التوراة في هذه القصة . وهو أنه لما أهلك الله أمة لوط لفسادها . ونجا بابنتيه فقط ، خالته : أى ظن ابتناه أن الأرض قد خلت ممن يتقين منه نسلاً . فقالت الكبرى للصغرى : إن أبانا لشيخ ، وإنسان لم يبق في الأرض . فهلم بنا نسق أبانا خيراً ونضاجعه ، لنبتغي من أبنينا نسلاً . ففعلتا ذلك بزعمهم . وجعلوا ذلك النبي قد شرب الخمر حتى سكر ، ولم يعرف ابنتيه ، ووطئهما فأحبلهما وهو لا يعرفهما ، فولدت إحداهما ولداً سمته «مواب» يعنى أنه من الأب ، والثانية سمته ولدها بنى عمو ، يعنى

أنه من قبلهما . ولذلك أن الولد عند اليهود من (الممزريم) ضرورة ، لأنهما من الأب وابنته . فإن أنكروا ذلك لأن التوراة لم تكن نزلت لهم ذلك ، لأن عندهم أن إبراهيم الخليل عليه السلام لما خاف في ذلك العصر من أن يقتله المصريون بسبب زوجته أخفى نكاحها وقال « هي أختي » علماً منه بأنه إذا قال ذلك لم يبق للظنون إليها سبيل ، وهذا دليل على أن حظر نكاح الأخت كان في ذلك الزمان مشروعاً ، فما ظنك بنكاح البنت الذي لا يجوز ولا في زمن آدم عليه السلام .

وهذه الحكاية منسوبة إلى لوط النبي في التوراة الموجود في أيدي اليهود ، فإن يقدروا على جردها . فليزعمهم من ذلك أن الولدين المنسوبين إلى لوط (ممزريم) إذ تولدوا على خلاف المشروع . وإذا كانت « الوث » وهي من ولد مواب ، وهي جدة داود عليه السلام وجدة مسيحهم المنتظر ، فقد جعلوها جميعاً من نسل الأصل الذي يطعنون فيه .

وأيضاً : فمن ألحش الحال أن يكون شيخ كبير قد قارب المائة سنة قد سقى الخمر حتى سكر سكرًا حال بينه وبين معرفته ابنتيه ، فضاجته إحداهما واستنزلات منيه ، وقامت عنه وهو لا يشعر ، كما قد نطق كتابهم في قوله :
(ولو باداع بشنخباه ويقوماه) .

تفسيره : ولم يشعر باضجاعها وقيامها . وهذا حديث من لا يعرف الحبل ، لأنه من الحال أن تعلق المرأة من شيخ طاعن في السن قد غاب عن حسه لفرط سكره .

ومما يؤكد استحالة ذلك أنهم زعموا أن ابنته الصغرى فعلت به كذلك في الليلة الثانية ، فعلقت أيضاً . وهذا ممتنع من المشايخ الكبار أن تعلق المرأة من أحدهم في ليلة وتعلق منه أيضاً الأخرى في الليلة الثانية ، إلا أن العداوة التي

ما زالت بين بني عمو ومواب وبين بني إسرائيل بعثت واضح هذا الفصل على تلفيق هذا الحال ليكون أعظم الأخبار فحشاً في حق بني عمو ومواب .

وأيضاً فإن عندهم أن موسى جعل الإمامة في الهارونيين ، فلما ولى طالوت ، وثقلت وطأته على الهارونيين ، وقتل منهم مقتلة عظيمة ، ثم انتقل الأمر إلى داود ، بقي في نفوس الهارونيين التشوف إلى الأمر الذي زال عنهم . وكان عزرا خادماً لملك القدس حظياً عنده ، فتوسط إلى بناء بيت المقدس ، وعمل لهم هذه التوراة التي بأيديهم . فلما كان هارونياً كره أن يتولى عليهم في الدولة الثانية داودى ، فأضاف إلى التوراة فصلين طاعنين في نسب داود ، أحدهما قصة بنات لوط . والأخرى قصة تامان ، وسيأتى ذكرها .

ولقد بلغ لعمرى غرضه . فإن الدولة الثانية التي كانت بنت لهم بيت المقدس لم يملك عليهم فيها داوديون ، بل كان ملوكهم هارونيون ، هذا عزرا ليس هو العزيز كما يظن ، لأن العزيز هو تعريب العازار فأما عزرا فإنه إذا عرب لم يتغير عن حاله . لأنه اسم خفيف الحركات والحروف ولأن عزراً عندهم ليس بنبي وإنما يسمون عزيزه (هسوفير) وتفسيره : الناسخ .

وأيضاً : فإن عندهم في التوراة قصة أعجب من هذه . وهى أن يهوذا بن يعقوب النبي عليه السلام زوج ولده الأكبر من امرأة يقال لها تامان ، وكان يأتيها مذبراً ، فغضب الله تعالى من فعله ، فأماته . فزوجها يهوذا من ولده الآخر . فكان إذا دخل بها أمنى على الأرض ، علماً منه بأنه إن أولدها كان أول الأولاد باسم أخيه ومنسوباً إلى أخيه ، فسكره الله ذلك من فعله فأماته أيضاً . فأمرها يهوذا باللاحاق بأهلها إلى أن يكبر سبلاً ولده ، ويتم عقله ، حذراً أن يصيبه ما أصاب أخويه . فأقامت في بيت أبيها فماتت بعد زوجة يهوذا وأصعد إلى منزل يقال له تمناث ، ليحجز غنمه . فلما أخبرت تامار

بإصعاد حميها إلى تمناث لبست زى الزوانى وجلست فى مستشرف على طريقه
لعلها بشيمته . فلما سر بها خالها زانية ، فراودها ، فطالبتة بالأجرة فوعدها
بجدى . ورهن عندها عصاه وخاتمه ، فدخل بها فعلمت منه بفارص وزارح .
ومن نسل فارص هذا ، كان بوعز المتزوج بروث التى هى من نسل مواب .
ومن ولدهما كان داود النبي عليه السلام .

وأيضاً : فى هذه الحكاية دقيقة ملزمة بالنسخ . وهى أن يهوذا لما
أخبر بأن كفته قد علقت من الزنا أفتى بإحراقها ، فبعثت إليه بخاتمه وعصاه ،
وقالت له : من رب هذين أنا حامل . فقال : صدقت ، منى ذلك . واعتذر
بأنه لم يعرفها ، ولم يعاودها . وهذا يدل على أن شريعة ذلك الزمان كانت
مقتضية إحراق الزوانى . وأن التوراة أتت بنسخ ذلك ، وأوجبت الرجم
عليهن ، وفيه أيضاً من نسبتهم الزنا والكفر إلى أهل بيت النبوة ما يقارب
ما نسبوه إلى لوطاً النبي عليه السلام . وهذا كله عندهم فى نص كتابهم وهم
يجعلون هذا نسباً لداود وسليمان ولسيحيهم المنتظر ، ثم يرون أن المسلمين أحق
بهذا اللقب من منتظرهم ، وكذبهم فى هذا القول من أظهر الأمور وأبينها .
فأما دفعهم لإعجاز القرآن للفصحاء فليست بأعجب منه ، إذ كانوا لا يعرفون
من العربية ما يفرقون به بين الفصاحة والعى ، مع طول مكثهم فيما
بين المسلمين .

وأيضاً : فمن اعتراضهم على المسلمين : أنهم يقولون : كيف يجوز أن
ينسب إلى الله تعالى كتاب ينقض بعضه بعضاً ؟ يريدون بذلك : ينسخ
بعضه بعضاً .

فنقول لهم : ماتقولون فى السبت ، أيما أقدم افتراضها عليكم ، أو افتراض
الصوم الأكبر ؟

فيقولون : السبت أقدم . لأنهم إن قالوا الصوم أقدم كذبناهم بأن السبت فرضت عليهم في أول إعطائهم المن ، والصوم الأكبر فرض عليهم بعد نزول اللوحين ، ومخالفتهم وعبادتهم العجل . ولما رفع عنهم عقاب ذنبهم ذلك في هذا اليوم ففرض عليهم صومه وتعظيمه . فإذا أقروا بتقديم السبت قلنا لهم : ما تقولون في يوم السبت ، هل فرضت فيه عليكم الراحة والدعة وتحريم المشقات أم لا ؟ فيقولون : بلى ، فنقول لهم : فلم فرضتم فيه الصوم إذا اتفق صومكم الأكبر يوم السبت مع كون صومكم فرض بعد فريضة السبت ، ولكم في هذا الصوم أنواع من المشقة . منها القيام جميع النهار أليس هذا أيضاً قد نسخ فريضة السبت .

وأما رسول الله صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم وعظم فله فيما بينهم اسمان فقط ، فعليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، أحدهما « فاسور » وتفسيره : الساقط . والثاني « موشكاع » وتأويله المجنون . وأما القرآن العظيم فإنه يسمى فيما بينهم « قالون » وهو اسم للسوأة بلسانهم ، يعنون بذلك أنه عورة المسلمين وسوأاتهم ، وبذلك وأمثاله صاروا أشد الناس عداوة للذين آمنوا ، فكيف لا يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون ؟

فصل معرب عن بعض فضائحهم

ومن الفضائح التي عندهم في مذهبهم في قصة البياما والخالوص ، وذلك أنهم أمروا إذا أقام أخوان في موضع واحد ومات أحدهما ولم يعقب ولداً فلا يخرج امرأة الميت إلى رجل أجنبي ، بل ولد حميها ينكحها . وأول ولد يولد لها ينسب إلى أخيه الدارج . فإن أبي أن ينكحها شكته إلى مشيخة قومها قائلة : « قد أبي ابن حمى أن يستبقى اسماً لأخيه في إسرائيل ولم يرد نكاحي » ، فيحضره الحاكم هناك ويكلفه أن يقول : « لوحا فاصتي لقتحاه » .

تفسيره : ما أردت نكاحها ، فتنناول المرأة نعله فتخرجها من رجله وتمسكها بيدها وتبصق في وجهه وتنادى عليه :

(كاخا ييمعاسى لايش اشير لو بينى اث بيت احيوا) .

تفسيره : كذا فليصنع بالرجل الذي لا بينى بيت أخيه . ويدعى اسمه فيما بعد بالخلوع النعل ، وبينى بيته بهذا اللقب ، أعنى بيت الخلوع النعل . هذا كله مفترض في التوراة عليهم . وفيه حكمة ماجئة للرجل إلى نكاح زوجة أخيه الدارج ، لأنه إذا علم أنه قد فرض على المرأة أن تشتكيه إلى نادى قومها فذلك مما يحمله على نكاحها ، فإن لم يردعه الحياء من ذلك ، فربما إذا حضر استحي أن يقول : ما أردت نكاحها . فإن لم يخجله ذلك فلربما يستحي من انتهاك العرض بخلع نعله ، وكون المرأة تسل نعله وتبصق في وجهه ، وتنادى عليه بقلة البركة والمروءة ، فإن هو استهان بذلك فربما استعظم أن ينبز باللقب ويبقى عليه وعلى آله من بعده عار وقبح اسمه فيلجئه ذلك إلى نكاحها ، فإن كان من الزهد فيها بحيث يهون عليه جميع ذلك فقد فرق الشرع بينهما بعد ذلك . وليس في التوراة غير هذا . ففرع فقهاؤهم على ذلك ما فيه خزيهم وفضيحتهم . وذلك أنه إذا زهدت المرأة في نكاح أخى زوجها المتوفى أكرهوه على النزول

عنها ثم ألزموها الحضور عند الحاكم بمحضر من مشيختهم ولقنوها أن تقول :
(ميا بن سياى لها فيما حبوشيم إسرائيل) .

تفسيره : أبى ابن حى أن يقيم لأخيه اسماً فى إسرائيل ، لم يرد نكاحى ،
فيلزمونها بالكذب عليه . لأنه أراد فتنته . وكان الامتناع منها والإرادة منه .
وإذا لقنوها تلك الألفاظ فهم يأمرونها بالكذب ويحضرونه ويأمرونه بأن يقول
(لو حافصتى لقحتاه) تفسيره : ما أردت نكاحها .

ولعل ذلك خلاف سؤله ومناه فيأمرونه أن يكذب . وأما خلع نعله وبصقها
فى وجهه فغاية التعدى ، لأنه ما كفاهم أن كذبوا عليه وألزموه بأن يكذب حتى
ألزموه عقاباً على ذنب لم يجنه . فصاروا كما قال الشاعر :

وجرم جره سفهاء قوم فخل بغير جانيه العقاب

ذكر السبب فى تشديد لهم الأمر على أنفسهم :
تشديدهم الأحاد على أنفسهم له سببان :

أحدهما من جانب فقهاءهم وهم الذين يدعون (الحاخاميم) وتفسيره : الحكماء .
وكانت اليهود فى قديم الزمان تسمى الفقهاء بالحكماء ، وكان لهم فى الشام والمدائن
مدارس ، وكان لهم ألوف من الفقهاء . وذلك فى زمن دولة السبط البابليين والفرس
ودولة الروم . حتى اجتمع لهم الكتابان اللذان اجتمعت فقهاؤهم على تأليفهما .
وهما (المشنا والتلمود) . فأما المشنا : فهو الكتاب الأصغر ومبلغ حجمه ثمانمائة
ورقة . وأما التلمود : فهو الكتاب الأكبر ومبلغه نحو نصف حمل بغل لكثرتة ،
ولم يكن الفقهاء الذين ألفوه فى عصر واحد ، وإنما ألفوه فى جيل بعد جيل .
فلما نظر المتأخرون منهم إلى هذا التأليف ، وأنه كلما مر جيل عليه زادوا فيه ،
وأن هذه الزيادات المتأخرة تناقض أوائل هذا التأليف علموا أنهم إن لم يقطعوا
ذلك ومنعوا من الزيادة فيه أدى إلى الخلل الظاهر والتناقض الفاحش فطفقوا

الزيادة فيه . ومنعوا من ذلك وحظروا على الفقهاء الزيادة فيه . وحرّموا من يضيف إليه شيئاً آخر ، فوقف على ذلك المقدار .

وكانت أئمتهم قد حرّموا عليهم في هذين الكتابين مؤاكلة الأجانب ، أعنى من كان من غير ملتهم . وحظروا عليهم أكل اللحمان من ذبيحة من لم يكن على دينهم . لأنهم - أعنى علماءهم وأئمتهم - علموا أن دينهم لا يبقى عليهم في هذه الحالة ، مع كونهم تحت الذل والعبودية ، إلا بأن يصدّوهم عن مخالطة من كان على غير ملتهم ، وحرّموا عليهم منّا كحتهم والأكل من ذبائحهم . ولم يمكنهم المبالغة في ذلك إلا بحجة يستدعونها من أنفسهم ، ويكذبون بها على الله . لأن التوراة إنما حرمت عليهم منّا كحة غيرهم من الأمم^(١) ، لئلا يوافقوا أزواجهم في عبادة الأصنام والكفر بالله تعالى . وحرّم عليهم في التوراة أكل ذبائح الأمم الذين يذبحونها قرباناً للأصنام ، لأنه قد سمي عليها غير اسم الله . فأما الذبائح التي لا تذبح قرباناً فلم تنطق التوراة بتحريمها ، وإنما نطقت التوراة بإباحة تناول المأكل من يدى غيرهم من الأمم في قول الله تعالى لموسى حين اجتازوا على أرض بنى العيص :

(لوتشكار وايام كى لواتين لخاميا رصام عاذ مذارخ كف داغل) .

تفسيره : فإنى لا أعطيك من أرضهم ولا مسلك قدم .

(أوخر تشير وميالمام بكيف واخليتيم وغم ماييم تخرد وميانام بكيسف وشيشم) .

تفسيره : ما كولا اعتاضوا منهم بفضة . وتأكلوه . وأيضاً ما تشتروا منهم بفضة وتشربوه .

فقد تبين من نص الكتاب أن المأكل مباح لليهود تناوله من غيرهم من الأمم وأكله . وهم يعلمون أن بنى العيص عابدوا أصنام وأصحاب كفر .

(١) المقصود بهذا النساء فقط وهم الذين يخشى على دينهم .

فلا يكون المسلمون على كل حال دون هذه المنزلة ، يعنى أن يساوى بينهم وبين بنى العيص . فينبغى أن يأكلوا من ما كولات المسلمين ، وأن يجعلوا للمسلمين تفضيلاً بتوحيدهم وإيمانهم وكونهم لا يعبدون الأصنام . فموسى عليه السلام إنما نهاهم عن منافكة عباد الأصنام وأكل ما يذبجونه بأسمائها . ولسنا نعرف أحداً من المسلمين يذبح ذبيحته باسم صنم ولا وثن ، فما بال هؤلاء لا يأكلون من ذبائح المسلمين ؟ بل من سكن في الشام وبلاد العجم لا يأكلون من أيدي المسلمين اللبن والخبز والحلوى والخبز ، وغير ذلك من المأكولات .

فإن قالوا : لأن التوراة حرمت علينا أكل الطريفا .

قلنا : إن الطريفا هي الفريسة التي يفترسها الأسد والذئب وغيره من السباع ودليل ذلك قوله في التوراة :

(وياسار سسادى طريفا لو توخيلاوا الكيلب يسيلخوا واثوا) .

تفسيره : ولحماً في الصحراء فريسة لا تأكلها . للكلب ألقوه .

فلما نظر أئمتهم أن التوراة غير ناطقة بتحريم ما كل الأمم عليهم إلا عباد الأصنام ، وأن التوراة قد صرحت بأن تحريم مواكلتهم ومخالطتهم خيف استدراجهم بالمخالطة إلى مناكحتهم إنما يكون لخوف اتباعهم والانتقال إلى أديانهم وعبادة أوثانهم ، ووجدوا جميع هذا واضحاً في التوراة اختلقوا كتاباً سموه (هلكة شحيطة) ومعناه علم الذبابة ، ووضعوا في هذا الكتاب من تشديد الأحاد عايهم ما شغلهم به عما هم فيه من الذل والمشقة . وذلك بأنهم أمرهم بأن ينفخوا الرئة حتى تمتلئ هواء ، ويتأملوها هل يخرج الهواء من ثقب منها أم لا ؟ فإن خرج منها الهواء حرموه ، وإن كان بعض أطراف الرئة لاصقاً ببعض لم يأكلوه .

وأيضاً : فإنهم أمروا الذي يفتقد الذبيحة أن يدخل يده في بطن الذبيحة ،

ويتأمل بأصابه . فإن وجد القلب ملتصقاً إلى الظهر أو أحد الجانبين ، ولو كان الالتصاق بعرق دقيق كالشعرة ، حرموه ولم يأكلوه ، وسموه طريفاً . يعنون بذلك أنه تنجس فحرم أكله ، وهذه التسمية هي أول التعدى منهم ، لأنه ليس موضوعها باللغة إلا المقترس الذي يفترسه بعض الوحوش . ودليل ذلك قول يعقوب لما جاءوا بقميص يوسف ملوثاً بالدم :

(ويسكبرة ويومره كثرنت بنى خيار أعا أخالا شهو طاروف طوراف يوسف) .

تفسيره : فتأملها وقال : دراعة ابني ، وحش أذى أكله افتراساً افترس يوسف .

فقد تبين أن تفسير (طاروف طوراف يوسف) : افتراساً افترس يوسف . فالطاريفا هي الفريسة .

ودليل آخر : وهو أنه قال (ولجماً في الصحراء فريسة لاتأكلوا) والفريسة أبداً إنما تكون في الصحراء .

وليس ينبغي أن يعجب من ذلك ، فإن هذا النهى عن أكل الفريسة إنما نزل على قوم ذوى أخبية يسكنون البر . وذلك أنهم مكثوا يترددون في التيه والبرارى تمام أربعين سنة . وكانوا أكثر هذه المدة لا يجدون طعاماً إلا المن ، فلما اشتد طلبهم إلى اللحم جاءهم موسى بالسلوى ، وهو طائر صغير يشبه السماني . وخاصيته أن أكل لحمه يلين القلوب القاسية ، ويذهب بالخنزوانة والقساوة . وذلك أن هذا الطائر يموت إذا سمع صوت الرعد . كما أن الخطاف يقتله البرد ، فيلهمه الله عز وجل أن يسكن جزائر البحر التي لا يكون بها مطر ولا رعد إلى انقضاء أوان المطر والرعد ، فيخرج من الجزائر وينتشر في الأرض . فجلب الله إليهم هذا الطائر لينتفعوا بما في أكل لحمه من الخاصية ، وهي تليين القلوب

القاسية . وكان قد اشتد قرمهم إلى اللحم ، بحيث لم يمنعهم من أكل الفريسة والميتة إلا نزول تحريمها في التوراة .

فقد تبين التعدى من مشايخهم في تفسير الطريفا وأنها الفريسة .

فأما فقاؤهم فإنهم اختلقوا من أنفسهم هذيانا وخرافات تتعلق بالرثة والقلب ، وقالوا : ما كان من الذبائح سليماً من هذه الشروط « فهو خياو » . نفسير هذه الكلمة ظاهر ، وما كان خارجاً عن هذه الشروط فهو طريفا . وفسروا هذه الكلمة « حرام » وقالوا معنى قول التوراة : « ولحماً فريسة في الصحراء لاتأكلوه للكلب ألقوه » . يعنى إذا ذبحتم ذبيحة ولم توجد فيها هذه الشروط ، بل بيعوها على من ليس من أهل ملتكم . وذلك أنهم فسروا قوله « للكلب ألقوه » أى لمن ليس على ملتكم أطعموه وبيعوه ، إلا أنهم على الحقيقة أشبه بالكلاب ، وأحق بهذا اللقب والتشبيه ، لقبح عقولهم ، وسوء ظنونهم واعتقادهم في سواهم من الأمم .

إن اليهود فرقتان : إحداها عرفت أن أولئك السلف الذين ألفوا (المشنا والتلمود) هم فقهاء اليهود ، وهم قوم كذابون على الله وعلى موسى النبي ، أصحاب حماقات وفراغات هائلة .

من ذلك : أن أكثر مسائل فقههم ومذاهبهم يختلفون فيها ، ويزعمون أن الفقهاء كانوا إذا اختلقوا في كل واحدة من هذه المسائل يوحى الله إليهم بصوت يسمعه جمهورهم ، يقول : الحق في هذه المسألة مع الفقيه فلان . وهم يسمون الصوت (بث قول) ، فلما نظر اليهود القراءون ، وهم أصحاب عاتان وبنيامين إلى هذه المحالات الشنيعة ، وهذا الافتراء الفاحش ، والكذب البارد ، انفصلوا بأنفسهم عن الفقهاء وعن كل من يقول بمقاتلتهم ، فكذبوهم في كل ما افتروا به على الله ، وقالوا بعد أن ثبت كذبهم على الله ، وأنهم قد ادعوا

النبوة ، وزعموا أن الله كان يوحى إليهم جميعهم في كل يوم مرات ، فقد فسقوا ، ولا يجوز قبول شيء منهم . نخالفهم في سائر ما ألفوه من الأمور التي لم ينطق بها نص التوراة ، وأكلوا اللحم بالبن ، ولم يحرموا سوى لحم الجدى بلبن أمه فقط ، مراعاة للنص ، أعنى قول التوراة (لا تنضج الجدى بلبن أمه) .

وأما الترجمات التي ألفها (الحاخاميم) أعنى الفقهاء ، وسموها (هلكت شحيطا) أعنى علم الذبابة ، وهى المسائل الفقهية التي رتبها الفقهاء ونسبوها إلى الله عن موسى ، فإن القرائين أطرحوها مع غيرها وألقوها ، وصاروا لا يحرمون شيئاً من الذبائح التي يتولون ذباحتها ألبته .

فهذا حال هذه الطائفة من اليهود ، أعنى القرائين . ولهم أيضاً فقهاء أصحاب تصانيف ، إلا أنهم لم يبالغوا فى الكذب على الله إلى حد أن يدعوا النبوة ، ولا نسبوا أشياء من تفاسيرهم إلى النبوة ولا إلى الله بل إلى أحبارهم .

والفرقة الثانية : يقال لهم الربانيون ، وهم أكثر عدداً ، وهم شيعة (الحاخاميم) الفقهاء المقتريين على الله ، الذين يزعمون أن الله كان يخاطبهم فى كل مسألة بالصوت الذى سموه (بث قول) .

وهذه الطائفة أشد اليهود عداوة لغيرهم من الأمم من سائر اليهود ، لأن أولئك الفقهاء المقتريين على الله قد أوهموهم أن المأكولات والمشروبات إنما تحل للناس بأن يستعملوا فيها هذا العلم الذى نسبوه إلى الله وإلى موسى ، وأن سائر الأمم لا يعرفون هذا ، وأنهم إنما شرفهم الله بهذا وأمثاله من الترهات التي أفسدوا بها عقولهم ، وصار أحدهم ينظر إلى من ليس على ملته كما ينظر إلى سائر الحيوانات التي لا عقل لها ، وينظر إلى الماء الذى تأكلها الأمم كما ينظر الرجل إلى العذرة أو إلى صديد الموتى ، وغير ذلك من الأشياء القذرة التي لا يسوغ لأحد أكلها ،

فهذا هو الأصل في بقاء هذه الطائفة على أديانها لشدة مبايبتها لغيرها من الأمم ،
ولأنهم ينظرون إلى الناس بعين النقص والازدراء إلى أبعد غاية .

وأما الطائفة الأولى ، وهم القراءون ، فأكثرهم خرج إلى دين الإسلام
أولاً فأولاً ، إلى أن لم يبق منهم إلا نفر يسير ، لأنهم أقرب إلى الاستعداد
لقبول الإسلام لسلامتهم من محالات فقهاء الربانيين ، أصحاب الافتراء الزائد ،
الذين شددوا على جماعتهم الأحد .

فقد تبين مما ذكرنا أن (الخابميين) هم الذين شددوا على هذه الطائفة دينهم
وضيقوا عليهم المعيشة والأحد . قصدوا بذلك مبايحتهم في مضادة مذاهب الأمم
حتى لا يختلطوا بهم فيؤدى اختلاطهم بهم إلى خروجهم من دينهم .

والسبب الثاني في تضيق الأحد عليهم : أن اليهود مبددون في شرق البلاد
وغربها ، فما من جماعة منهم في بلدة إلا قدم عليهم رجل من أهل دينهم من
بلاد بعيدة ، يظهر لهم الخشونة في دينه والمبالغة في التورع والاحتياط ، فإن كان
من المتفقيين فهو يسرع في إنكار أشياء عليهم ، ويوهمهم التنزه عما هم فيه ،
وينسبهم إلى قلة الدين ، وينسب ما ينكره عليهم إلى مشايخهم وأهل
بلدهم ، ويكون في أكثر ذلك الإسناد كاذباً ، ويكون قصده بذلك إما
الرياسة عليهم وإما تحصيل غرض منهم ، ولا سيما إن أراد المقام بينهم ، أو
التدبير عندهم ، فتراه أول ما ينزل عندهم لا يأكل من أطعمتهم ولا من ذبائحهم
ويتأمل سكينة ذابحهم ، وينكر عليهم بعض أمره ويقول أنا لا آكل إلا من
ذبحة يدي . فتراهم معه في عذاب لا يزال يفكر عليهم الحلال والمباح ، ويوهمهم
تحريمه بإسنادات يخترعها ، حتى لا يشكوا في ذلك . فإن وصل بعد مدة طويلة
من أهل بلده من يعرف أنه كاذب في تلك الإسنادات ، فلا يخلو من أن يوافقه
أو يخالفه ، فإن وافقه فإنما يوافقه ليشاركه في الرياسة الناموسية التي حصلت له ،

وخوفاً من أن يكذب إن خالفه وينسب إلى قلة الدين . وأيضاً فإن القادم الثاني في أكثر الأمر يستحسن ما اعتمده القادم الأول من تحريم المباحات ، وإنكار المحملات . ويقول : لقد عظم الله ثواب فلان ، إذ قوى ناموس الشرع في قلوب هؤلاء الجماعة ، وشيد سياجه ، وإذا لقيته على الانفراد يشكره ويمجّزه خيراً ، ويقول له : لقد زين الله بك أهل بلدنا .

وإن كان القادم الثاني ينكر ما أتى به القادم الأول من الإنكار عليهم والتضييق ، لم يبق أحد من الجماعة يستنصحه ، ولا يصدق بل جميعهم ينسبونهم إلى قلة الدين . لأن هؤلاء القوم يمتقدون أن تضييق المعيشة وتحريم المحملات ، هو المبالغة في الدين ، والزهد . وهم أبداً يمتقدون الدين والحق مع من يضيّق عليهم . ولا ينظرون هل يأتي بدليل أم لا ، ولا يميحنون عن كونه محقاً أو مبطلاً . هذا حال القادم إلى بلد من متفقهة اليهود .

فأما إن كان القادم أحد أخصاب اليهود وعلمائهم ، فهناك ترى العجب من الناموس الذي اعتمده . والسنن التي يحدثها ويلحقها بالفرائض ، ولا يقدر أحدهم على الاعتراض عليه . فتراهم مستسلمين إليه ، وهو يحتلب ويحلب بحيله وراء دراهمهم ، حتى لو بلغه أن بعض أحداث اليهود قد جلس على قارعة الطريق في يوم السبت واشترى لبناً من بعض المسلمين أو خيراً ، لبّبه وسبه في مجمع من يهود المدينة وأباحهم عرضه ، ونسبه إلى قلة الدين .

فهذا السبب الذي ذكرناه والسبب الذي قبله ، هما العلة في تشديد الأحكام الذي جعلته اليهود على أنفسهم وتضييق المعيشة عليها ، وتجنبهم ما كل غيرهم ، ومخالطة من كان على غير ملتهم ، وقد أوضحناها .

خاتمة الكتاب

خاتمة الكتاب

أحق الناس بأن يوسم بالجهالة ، ويميز بالضلالة ، من كان طبعه أيباً عن
الالتحاق للحقائق ، وعقله بعيداً عن فهم اليقين . فأما من سفل درجة عن ذلك ،
وكان مع الامتناع عن تسليم الحقائق مسرعاً إلى قبول الباطل ، وتصديق
المستحيل ، فهو حقيق بالنسبة إلى الجنون والسقوط . وهذه الطائفة أحق الناس
بذلك ، لأن آباءهم كانوا يشهدون في كل يوم من الآيات الحسية ، والمنارات
السامية ما لم يره غيرهم من الأمم . وهم مع ذلك يهيمون برجم موسى وهارون في
كثير من الأوقات . وكفى باتخاذهم العجل في أيام موسى عليه السلام وإيثارهم
العودة إلى مصر والرجوع إلى العبودية ، ليشبعوا من أكل اللحم والبصل
والقثاء . ثم عبادتهم الأصنام بعد عصر يوشع بن نون ، ثم انضمامهم إلى ايشالوم
الولد العاق ولد داود بيت ملك الكرخ فإن سوادهم الأعظم انضم إلى هذا الولد
العاصي العاق . وشدوا معه على حرب الملك الكبير داود عليه السلام . ثم إنهم
لما عادوا إلى طاعة داود جاءت وفودهم وعساكرهم متقاطرة إلى داود مستغفرين
عما ارتكبوه ، مستبشرين بسلامة الملك داود ، بحيث اختصم الأسباط مع
سبط يهوذا ، إذ عبروا بالملك الأردن قبل مجيء عساكر الأسباط ، غير أنهم
على السبق إلى خدمة الملك ، وتعاتبوا في ذلك عتاباً رقيقاً فقال سبط يهوذا : نحن
أحق الناس بالسبق إلى الملك والاختصاص بخدمته لأنه منا . فلا وجه لعتبكم
علينا يا بني إسرائيل في ذلك فنبلغ فضولى يقال له (نحزى بن شيع) فنادى برفيع
صوته « لاحظ لنا في داود ولا نصيب لنا في ابن بشاي ، ليمض كل منكم إلى خيان
يا إسرائيليين » فما كان بأسرع من انفضاضهم ، أي جميع عساكر بني إسرائيل
عن داود ، بسبب كلمة ذلك الفضولى . ولما توصل الوزير (يثوب) إلى قتل الشعب
عادت العساكر جميعها إلى طاعة داود .

فما كان القوم إلا مثل رعا عهمج العوام الذين تجمعهم دبذبة وتفرقهم صيعة .
وأما عبادتهم الكبشين ، وتركهم الحج إلى القدس ، ثم إصرارهم على
مخالفة الأنبياء إلى انقضاء دولتهم فما يصدر من متمسك بأهداب العقل . وسبيلهم
أن لا يتطرقوا إلى معاندة أحد من الأمم إذا كانت هذه مخازيهم وفضائهم .
فأما تسرعهم إلى قبول الباطل والمستحيل ، فإننا نذكر منه طرفاً ينبىء
عن قلة عقولهم .

وهو ما جرى فى زماننا من أذكاهم وأكيسهم وأمكرهم ، وهم يهود بغداد .
فإن محتالا من شبان اليهود نشأ فى سواد الموصل ، يقال له « مناحيم » بن سليمان ،
ويعرف بابن الروجى . وكان ذا جمال فى صورته . وقد تفقه فى دينهم بالإضافة
إلى الحمر من اليهود الساكنين بالناحية المعروفة بالمارية من بلاد الموصل . وكان
المتولى لقلعة هناك زميل لذلك المحتال ، وأحبه لحسن اعتقاده فيه . ولما توهم فيه
من ديانة تظاهر بها ، بحيث إن الوالى كان يسعى إلى زيارته ، فطمع ذلك المحتال
فى جانب الوالى ، واستضعف عقله ، فتوهم أنه يتمكن من الوثوب على القلعة
وأخذها ، وأنها تبقى له معقلا حصيناً . فكتب إلى اليهود القرائين المتفرقين
بنواحى آذربيجان وماوالاها . لأنه علم أن اليهود الأعاجم أقوى جهالة من
سائر اليهود . وذكر فى كتبه أنه قائم قد غار لليهود من يد المسلمين ، وخاطبهم
بأنواع المكر والخديعة . فمن بعض فصول كتبه التى رأيتها ما هذا معناه :
« ولعلكم تقولون هذا لى شىء قد استفزنا : لحرب أم لقتال ؟ لا . لسنا
نريدكم لحرب ولا لقتال ، بل لتكونوا واقفين بين يدى هذا القائم ليراكم هناك
من يخشاه من رسل اللوك الذين بيا به » وفى أواخر الكتاب الكيد « ينبغى
أن يكون مع كل واحد منكم سيف أو غيره من آلات الحرب ويخفيه تحت
أثوابه » فاستجابت إليه يهود الأعاجم وأهل نواحى المارية وسواد الموصل ،

ونفروا إليه بالسلاح المستتر ، حتى صار عنده منهم جماعة كثيفة ، وكان الوالى حسن ظنه به يظن أن أولئك القادمين إنما جاءوا لزيارة ذلك الخبر الذى قد ظهر لهم بزعمه فى بلده إلى أن تكشف له مطاعمهم وكان حليماً عن سفك الدماء ، فقتل صاحب الفتنة المحتال وحده ، وأما الباقون فتفاجؤا مدبرين ، بعد أن ذاقوا وبال المشقة والخسارات والفقر . ولم تكشف هذه القصة لهم مع ظهورها لكل ذى عقل ، بل هم إلى الآن يفضلونه على كثير من أنبيائهم ، أعنى يهود الممارية . ومنهم من يعتقد أنه المسيح المنتظر بعينه . ولقد رأيت جماعة من يهود الأعاجم ، نحو سلداس وتبريز ومراغة قد جعلوا اسمه قسمهم الأعظم . وأما من فى الممارية من اليهود ، فصاروا أشد مباينة ومخالفة فى جميع أمورهم لليهود من النصارى . وفى تلك الولاية جماعة منهم على دين ينسبونه إلى مناحيم المحتال المذكور . ولما وصل الخبر إلى بغداد اتفق هناك شخصان من محتالى اليهود ودواهى مشيختهم فروا على لسان مناحيم كتباً إلى بغداد ، يبشرهم بالفرج الذى كانوا قديماً ينتظرونه ، وإنه يعين لهم ليلة يطرون فيها أجمعين إلى بيت المقدس . فانقاد اليهود البغداديون إليهما مع ما يدعونه من الذكاء ، ويفخرون به من الحب ، انقادوا بأسرهم إلى تصديق ذلك . وذهبوا بنسوانهم وأموالهم وحليهم إلى دينك الشيخين ، ليتصدقوا به على من يستحقه بزعمهما ، وصرف اليهود جل أموالهم فى هذا الوجه واكتسوا ثياباً خضراً ، واجتمعوا فى تلك الليلة على السطوح ينتظرون الطيران بزعمهم على أجنحة الملائكة إلى بيت المقدس . وارتفع من النساء بكاء على أطفالهن المرتضعين ، خوفاً أن يطرن قبل طيران أولادهن ، أو يطير أطفالهن قبلهن ، فتجوع الأطفال بتأخر الرضاع عنهم . وتعجب المسلمون هناك مما اعترى اليهود حينئذ ، بحيث أحجموا عن معارضتهم ، حتى تكشف آثار مواعيدهم العرقوبية . فما زالوا متهافتين إلى الطيران إلى أن أسفر للصباح

عن خذلانهم وامتناعهم ، ونجا ذانك المحتالان بما وصل إليهما من أموال اليهود
وانكشف لهم بعد ذلك وجه الحيلة ، وما تظاهروا به من جلباب الرذيلة ، فسموا
ذلك العام عام الطيران . وصاروا يعتبرون به سنين كهولهم والشبان . وهو تاريخ
البغداديين من المتهودة في هذا الزمان . فكفاهم هذا الأمر عاراً دائماً
وشناراً ملازماً .

وفيا قد أوردناه كفاية قاضية للوطر من إغمامهم وإلجامهم بما هو عين
ما عندهم ، وأعوذ بالله مما يشركون ، وإليه البراءة مما يكفرون .
والحمد لله رب العالمين . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

الرسالة السبعية

بإبطال الديانة اليهودية

للحبر الأعظم إسرائيل بن شموئيل الأورشليمي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذى اختص لذاته العلية بقوله السامى : (لا يسأل عما يفعل وهم يُسألون) وجعل الناس أحزاباً وفرقاً . وقد تراهم بجهل وعلم كافة إليه يسألون . وأرسل إليهم رسلاً وأنبياء جمة ، وأحصى معنهم بمحمد خاتم المرسلين . وأمرنا بالصلاة والسلام عليهم وعلى آلهم وأصحابهم أجمعين .

أما بعد فهذه الرسالة المسماة السبيعية ، الحاوية لسبعتين من القضايا التنبيهية قد تتعلق بجواب يقيد معرفة . واستدلالاتاً لزومياً للأحكام التوراتية بالشرائع القرآنية . على سؤال يرد من أحبار اليهود البواقى ، من الملة الإسرائيلية ، إلى رجل مهتد إلى الديانة الحمديّة .

صورة السؤال :

ألا يا حبيبي : ما الذى ألك إلى أن تترك دين آبائك وأجدادك وتوراتهم وشريعتهم ، وتنقل إلى دين الكوثيم دين الإسلام ، الذى كنت تبغضه وتشنؤه . كما نحن الآن جماعة اليهود ، ونكره الدخول فيه ؟

صورة الجواب :

ألا يا بنى إسرائيل ، يا أقربائى وبنى جنسى : إني أعلمكم بأن الذى ألك إلى أن أترك ما عندكم وأدخل فى دين الإسلام هو مركب من سبعة قضايا :
أولها : أنى فحصت الفحص البالغ ، وتركت الغرض والعناد القبيح ، فوجدت كلام الأنبياء عليهم السلام وإشاراتهم عن هذا النبي العظيم محمد ، الذى اتبعته ، هى منطققة عليه من كل الجهات ، ثم هذه النبوءات التى رأيتها فى كتب الأنبياء وسمعتها . فعلى ظنى أن ليس عليها مرد مطلقاً ، ولا ناقض بوجه الحق ، وهى من سيدنا موسى وأشعيا وداود وزكريا وغيرهم .

ثم مفردات هذه الشهادة مفندة في محلات كثيرة من كتب المباحثات والمجادلات في هذا المعنى مأخوذة من التوراة عينها .

فمن جملة ما ذكرت التوراة في سفر التكوين المسمى بالعبراني « باراشيب » بأن لسيدنا إسحاق جد الأنبياء بركة واحدة ، وذكرت لسيدنا إسماعيل جملة بركات ، وعليكم يا أحبائي بمراجعتها .

وثانيها : إن قبل مطالعتي لهذه البراهين كان دائماً يخطر لفكري - كما الآن يخطر لفكركم - وكنت أقول لذاتي بأن تورائنا وزبورنا ونبوات أنبيائنا لم يوجد فيها أدنى إشارة عن نبي المسلمين .

ولكن بعد مدة مديدة من الزمان راجعت ذاتي وقلت في عقلي : وَيْه وَيْه . كيف نبي مثل هذا الذي تبعته ألوف وكرات ومليونات ، وشعوبه وأمتة أكثر بكرات من شعوب موسى ، وتبشيريه للناس وإنذاره بترك الكفر والحث على الإيمان بالله ، ومجاهدته وغيرته الشهيرة ، أيهمل ويترك ، وينسى من الذكر عند أنبياء بني إسرائيل ؟ فهذا القول بهذا الشكل الذي يعلمنا فيه أحبارنا والحاخاميم هو مضاد لكل عقل سليم ، بحيث إن أنبياء بني إسرائيل أنبأوا عن أشياء كثيرة كلية وجزئية ، والإشارة عن هذا النبي هي من الأشياء الكلية اللازمة ، فكيف يتروكونها وينسونها ؟ ويه ويه . أنا لا يقبل عقلي كلام الحاخاميم الباطل وتأويلهم .

فالتزمت عندما امتلاً فكري من هذا الميزان أن أفقش وأفحص بزيادة عما كنت أفحص من قبل ، فوجدت كما قدمت . وقلت : إن معاني كثيرة وإشارات غريبة موجودة في التوراة تشير إلى هذا النبي العظيم محمد ، وهذه هي التي كانت من جملة الأسباب التي أحوجتني أن أترك الشريعة التوراتية ، وأتبع الشريعة لقرآنية المهندمة بغاة الهندام ، والمنقظم إليها أخص ما يوجد في الشرائع السابقة .

وثالثها : اعلّموا يا أقربائي وبنى جنسى ، إني أخبركم أن الذى حملنى بعد ذلك أن أتبع هذا النبى الجليل محمد : من كونى نظرت أن جماعة اليهود على بكرة أبيهم فى كل مصر ومكان هم عاثشون بغير شريعة التوراة ولاعاملون بأحكامها اللازمة لكون غير ممكنهم العمل بها ، لابل ممقنع . وقد تصرمت عنهم بالطبع وتلاشت وهى باقية بالورق فقط . ويظهر من ذلك أن الله سبحانه وتعالى قد استخدمها إلى أزمنة معلومة محدودة ، غير راض بخلودها ، لابل إنه راض بانقضائها وتبديلها .

والبرهان على ذلك هو من المشاهدات والمتواترات والتجربيات والحدسيات والأوليات ، إذ أننا نرى أن أعمدة وأركان هذه الشريعة الموسوية التى كانت مسندة عليها وفيها قوامها واستيلاؤها قد انهدمت بالكلية وعدمت ، مثل إبادة الملك والرياسة ، وعدم وجود الأنبياء ، وإبطال الكهنوت ، وخراب الهيكل السليمانى ، وهدم المذبح واندثار الذبائح ، ومحى الأسباط وما يتعلق بهم ، لأن هذه الأعمدة والأركان قد ربط بها الله سبحانه وتعالى جميع مايلزم من القضايا الدينية المشروعة فى التوراة ، حتى والأحكام المدنية ، لىكى إذا عدمت هذه اللوازم الركنية وبطلت - كما هو مشاهد الآن - نستدل من انعدامها على بطلان الديانة جميعها ، بحيث تعلق الدين بها . والبرهان على ذلك واضح جداً ، وأجلى من ضياء الشمس بضحائها ، ومشاهد تحت حواسنا بفغناها . إذ أن الله سبحانه وتعالى قد نزع الملك منكم ، والاستيلاء الذى به كنتم تجرون الأحكام الدينية والمدنية وأبطل وجود الأنبياء من سلسلتكم على الإطلاق التى كانت تسوسكم وتنصحكم وتعلمكم وتنبئكم على ما كان وما يكون ، وتصنع المعجزات لىكى تثبت لكم أن الذى كانت تخاطبكم به هو وحي من عند الله . وهذه الكثرة من الأنبياء قد كانت موجودة خاصة عند أمتكم بالحصر ، وليست عند من سواها ، وأباد الكهنة ورؤساء الكهنة والكهنوت الذى كان لا يتم الخلاص

اليهود ولا النصارى إلا بهم وعلى أيديهم ، حتى ولا يجوز العمل الذي كانوا يعملونه
في الاستغفارات والتخلص من السيئات إلا بواسطتهم ، وهدم المذبح والهيكل
الله ، عمره سليمان الذين كانوا لا تتم أعمال القرايين إلا بهما .

وبحق الله سبحانه وتعالى وهدم معرفة الأسباط ورتبهم ووظائفهم المتعلقة
بالخدمات الدينية ، والأحكام الحرسية والملكية .

ورابعها : وهي الأغرب من كل ما ذكرناه — أن « أشداى أصباؤت أهيه
شرايه » حينما وضع شريعة التوراة وفرضها قد جعل على الأمة اليهودية شرائع
ووصايا يجمع عددها ستمائة وثلاثة عشر وصية ، وهذه الوصايا الحاوية على هذا
العدد قد ربطها ، وحكم حكماً صارماً على من لم يعملها بستمائة وثلاثة عشر لعنة . لأنه
يقال في سفر التثنية ، الاشتراع في الأصحاح السابع والعشرين والثامن والعشرين
« ملعوناً يكون من لا يعملها واحدة واحدة » ثم إن هذا الإله سبحانه وتعالى
الذي من جملة أسمائه بالعبراني « الألوهيم » « الأدوناي » قد وضع على من
خالف هذه الوصايا ولا يعمل بها واسطة للتخلص من تلك اللعنة المترتبة على
المخالف : تطهيرات وتكفيرات وغفرانات وذبائح وقرايين بأعداد من الحيوانات
والطيور ومعلومات . وحصر هذا الألوهيم الياهو في هذه المذكورات أن تصنع
وتحرب ضمن الهيكل والمذبح ورسم أيضاً بأن من يقدم قرباناً خارج الهيكل يقتل .
وأنه بأن تكون القرايين مقدمة له تعالى على أيدي الأحبار ورؤساء كهنتهم .
وأن كل من يتعدى ويخالف وصية من هذه الوصايا وتلزمه لعنة من هذه اللعنات
يخلص منها بواسطة الكهنة ورؤساء الكهنة والهيكل والمذبح وباقي المذكورات .
كما سبق من القول .

وأما الآن يا أقربائي وبنى جنسى ، قد رأيت أن عامة اليهود الباقية من بنى
إسرائيل عند ما يخالفون وصية من هذه الوصايا ، وتلزمهم لعنة من هذه اللعنات

للمشروحة من سيدنا موسى في التوراة ليس لهم وجهة للتخلص منها مطلقاً . وهم
حزناني من كونهم غير ممكنهم العمل بكامل الوصايا المشروحة ، ومتحققين أنهم
تحت مخالفتهم وثقل عليهم حمل اللعنات الموضوعة عليهم . ويمتنع أيضاً فرارهم
بالتطهيرات والتخلص من قصاصاتها ماداموا تحت نيرها . لأن الباب مسدود
بواسطة ما أنا عازم على شرحه ويه ويه . يا أسفاه ، ويا حسرتاه ، لأن الهيكل
الذي عمره سليمان الذي هو مثال القبة الموسوية مع المذبح الذين لا تكون هذه
القرابين إلا بهما قد خربا وانهدما ، والذبايح والقرابين مع الكهنة ورؤساء
الكهنة الذين كانوا يعملونها في الهيكل والمذبح للقداء والتطهير مع باقي ما ذكرناه
من النبوة والملك والأسباط ومتعلقاتهم قد اضمحلوا وتلاشوا ، وما بقي لهم أثر
بالكلية . فمن انعدام ما ذكرناه إفراداً وإجمالاً ، وبطلانه ، ما عاد يمكن للباقي
من الشعب الإسرائيلي التخلف من الخطايا ومن المرتب عليها من القصاصات .
لا بل وممتنع عليكم يا أحبائي التقرب إلى الله ، بحيث التزمتم تبعة لعنات شريعتكم
التوراتية مع عدم مكنتكم أيضاً التطهيرات المربوطة عليها . وهذا القول ليس هو
قولي ، ولا يجوز عندي أن ألعن ، بل هي لعنات شريعتكم وتوراتكم ، فإني
قصدت أن أذكركم إياها للتخاص منها إن شئتم كما تخلصت أنا منها بدخولي إلى
الديانة الحمديدية المبين عنها من موسى والأنبياء .

لأنه لو كان قصد الله خلود هذه الشريعة الموسوية وحفظها ودوامها لما كان
هو ذاته سبحانه ربطها في كذا قضايا تنظر إبادتها وإعدامها عياناً ، ظاهراً
في كل حين وآن ، عند العالم والغبي والعاقل والجاهل ، والشيخ والشاب ،
وجميعهم بالسواء قد ينظرون بأنها قد أعدمتم وبطلت ومضى على بطلانها مئات
كثيرة من السنين . وكل عاقل يرغب ثواب الآخرة قد يستدل على أن الانتقال
منها إلى شريعة نبينا محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم هو أمر ضروري ولازم .

وخامسها : يا أحبابي . ليس خافاكم أن في الزمان الماضي قد جاء سيدنا عيسى فاستكبرتم عليه وتكلمتم في حقه ألفاظا غير جائزة ومحرمة . لاسيما أنها مبنية على التزوير والبهتان والكذب التي بسببها مع غيرها قد ورد عليكم القصاص في القرآن الشريف أكثر من أربع مرات ، بألفاظ متعددة ومفزعة جداً . ومضمونها تكرار ما وضعه سيدنا موسى عليكم على مخالفتكم الوصايا المار شرحها . ولكن مع هذا كله إن أناساً كثيرين من اليهود اتبعوا دين عيسى الأصلي الصحيح ، وإنجيله السليم ، وهم ألوف وكرات ومليونات . وتخلصوا من لعنات الشريعة التي ذكرناها . وقد وعد سيدنا عيسى بمجىء محمد ﷺ المصطفى ، وأشار عنه بإشارات كثيرة .

ومنها : أنه قد سماه « الفارقليط » وهي كلمة يونانية وترجمتها للعربي : الداعي . وهي — أي الداعي — من جملة أسمائه الشريفة . وقد نظرت هذه اللفظة مع جملة براهين مؤلفة من علماء النصارى وأخبار اليهود المهتدين . وهي بحق تصدق الدين الحمدي ومسندة على التوراة والإنجيل والزبور . وهذه البراهين من هذه الكتب قد كان يتردد فيها بعض حاخاميه اليهود في زمان المصطفى ويتبعونه ، ويدخلون في دينه ، الذين منهم عبد الله بن سلام ، وكعب الأحبار وغيرهم كثيرين .

وسادسها : وإذ رأى الأحبار والحاخاميه الكثير من جماعتهم اليهود الموجودين في تلك الأعصار تابعين لدين هذين الرجلين النبيين العظيمين ، وما بقي عندهم إلا القليل من الناس ، كما هو مشاهد فقد شرعوا في عمل تحريفات وتأويلات وتفسيرات مخالفة لمضامين الشهادة الواردة في التوراة بحقهما . واخترعوا آراء مستحدثة ، حتى قد رأوا أن يبقوا للمباقيين في دينهم إلى الآن . ومع ذلك لما كنت أتردد عندكم كنت أرى أن بعضاً منكم مذبذبين ومنقسمة

أراؤهم في الكثير مما ذكرته ، وهم من الناس العقلاء . وبعض منهم عارفون الحق ولكنهم مربوطون في وظائفهم الدينية والأموال والأولاد والعيال . وبعضهم مغفلون غير مباليين من دخولهم تحت هذه اللعنات المذكورة التي يلتزم بالدخول تحت نيرها جمهورهم بلا محالة ، بحيث غير ممكنهم عمل الوصايا المربوطة على من لم يعملها هذه اللعنات . مع عدم إمكان عمل الوسائط بالقرابين التي كانت تخلص الناس منها .

ثم ومن أقوى هذه الآراء المستحدثة قد اخترعوا لهم رأياً أبتليس له عندهم سند في التوراة مطلقاً ، لا من موسى ، ولا من الأنبياء وهو التقييص . أعني أن الإنسان اليهودي عندما يموت وهو غير مكمل الوصايا المشروحة ، ومديون إلى الكثير منها ووقع تحت هذه اللعنات . فيلزمه الرجوع للدنيا ثانية مرة ، أو ثالث مرة أو إلى أكثر من ذلك ، إلى أن يكمل كل الوصايا ويتخلص من جرثومة هذه اللعنات رويداً رويداً . ثم لما فحصت ودققت واتصلت إلى معرفة هذه القواعد الدينية ورأيتها أنها حديثة وليس لها سند في التوراة ، كما تكلمت سابقاً ، فقلت لنفسى : وَيَهْ وَيَهْ ، ما الذى يحملك على قعودك في هذه الشريعة الغير ممكن إتقانها ، والعمل بها . لا بل وممتنع أيضاً ، وإنك مع جماعة اليهود أبناء جنسك واقعون تحت قصاصاتها المحررة في التوراة .

ثم حدثت نفسى وقلت : إذا كان غير ممكن العمل بكامل الوصايا ، وممتنع أيضاً التطهير للواقع تحت مخالفتها وديانة التوراة هى مربوطة بالوجهين ، ومن لا يعمل بهما فهو كالذى بغير دين . فكيف أقعد أنا بغير دين ولا شريعة ؟ وكيف أنسب نفسى أنى يهودى وتحت شريعة موسى والتوراة وأنا عار منهما ، وبرىء ؟ . وهما بعيدان عني بعداً كبعد السماء من الأرض ؟ وبذلك أكون بلا شك لاسمع الله من أهل العذاب ، لأنه ممتنع على أن أعمل الوصايا ، ولا أقدر

أن أجرى ما فرضه الله على من التطهيرات والتكفيرات كما سبق من القول .
ومن هنا أدركت أن الذى بناها بحكمته هو هو الذى هدمها بحكمته ، واحد
لا يسأل عما يفعل وهم يسألون . إذ أن مقاصد الحكمتين بعيدة عن معرفة عقولنا .
وسابغاً : أنى قلت لنفسى : يا هل ترى ، ما الذى يمنعنى عن اتباع الحق ؟
فقلت : لا مانع لك .

ثم قلت : وما هو الفرق الحاصل فيما بين ديانتى وبين الديانة المحمدية ؟
فأجبت ذاتى وقلت : إن الفروقات الباقية اللازمة والضرورية فى هذا المعنى غير
المتقدم شرحه . هن سبع :

الفرق الأول : هو ترك فرائض المأكولات التى حرمتها الخاخيم وأتقأها .
الثانى : هو التخلص من هذه اللعنات ونكباتها .

الثالث : أن أطرح الكلام الردى ، والتجديف الذى كنت أتكلمه
وأعتقد به بحق عيسى وأمه وغيرها من حواريه وتعليماته .

الرابع : أن أقر بأنه نبي ورسول من عند الله برسالة معلنة بأفرادها .

الخامس : أن أقطع البغضة المزروعة فى قلبى بحق الأمم من الناس . وهى
معى عن آبائى وأجدادى ، وبحق محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم بنوع أبلغ ،
الحاوى أكثر الحماد وصفاتها .

السادس : أعترف بأنه نبي عظيم ، ورسول من عند الله ، وشفيع للقائلين
له : أنت لها ، أنت لها .

السابع : أعترف أنه جاء بشريعة عدلية ، وفضيلة كاملة ، حاوية معنى
جوهريات ما جاء فى الشرائع السابقة ، وأحسن القصص ، مهندمة إياها
بالاستثناء اللازم لها .

هذا هو الذى يزيد على ويلزمنى ، إذ أن إيمانى بوحدانية الله تعالى هو هو .

وختانى بمطهورى هو هو . وبعدى عن المرأة فى أوقات معلومة هو هو . وتطهيراتى
وإسقاط غسلى هى هى . وكثير من الأحكام التوراتية . كأوجه الزواج المربوط
بالقربات عدا وجهين زاندين هى هى . واعترافى بموسى ونوح وإبراهيم وباقي
الأنبياء هو هو . والشرائع العدلية كالعين بالعين والسن بالسن هى هى . وقد
رأيت كل مايلزم ويتعلق اتباعه لذلك هو هو ، محرر فى القرآن الشريف ،
زائد المندام ، حسن التوقيع ، مرتبط بأظرف عبارة ، ومتعاقب إليه كل مايلزم
من الأمور العائدة لإصلاح الدنيا والآخرة .

فهذا وأمثاله هو الذى أحوجنى أن أترك الدين اليهودى المتروك بالطبع ،
إذ نراه كميت لا يتحرك . وأتبع الدين الحمدي الحى المتحرك .

والمحبوب صافيه ومخلصه عند كل عاقل ، وأجهر بصوتى وأقول :
أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله .

فأنتم يا جماعة اليهود البواقى من بنى إسرائيل إن كان الأحبار طلبونى من كل
قنوبهم بسؤالهم أن يروا مارأيتهم . وما الذى حملنى على ذلك ويسمعوا ماسمعتهم
واهتديت به فليكرروا مطالعة رسالتى هذه التى سميتها « السبعية الحاوية الضوابط
الإرشادية » وليراجعوا الشهادات التى عرفت عنها المأخوذة من كتبهم الدالة على
اسمه المصطفى نبينا صلى الله عليه وسلم وصفاته ، وتشكيلاته وأعماله ، مع شرح
بعض التحريف الموجود فى كتبكم المجموع بعضه فى كتاب : البحث الصريح
فى الدين الصحيح المنسوب إلى المرحوم الشيخ زيادة فى الباب الرابع والخامس .
ومن بعد وقوفكم على جوابى هذا أرجو أن تعذرونى ، وإن كان يغيب عنكم
شىء اطلبوا إلى الله تعالى أن يرشدكم ويأتيكم بالبيان .

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين آمين .

الفهرس

صفحة	الموضوع
٣	التعريف بالكتاب ومؤلفه
١١	المقدمة - اليهود واقترام على الله
١٢	اليهود واليهود وأنفسهم
١٤	» والمسيحية
١٦	» والإسلام
١٧	» والعالم
٢٠	بدأ الكتاب
٢٠	النسخ من كتبهم
٢٣	إلحام اليهود والنصارى
٢٥	وجه آخر في إثبات النسخ وأصولها
٢٧	إلزامهم بالنسخ بوجه آخر
٢٨	إثبات النسخ على وجه آخر
٢٩	إلزامهم بنبوة المسيح
٢٩	» بنبوته ونبوة المصطفى
٣٢	فصل فيما يمكنه عن عيسى - ذكر الآيات والعلامات
٣٤	» الإشارة إلى اسمه في التوراة
٣٥	» الموضوع الذى أشير فيه
٣٦	فصل فى إبطال ما يدعون
٣٨	» » ذكر طرف من كفرهم وتبديلهم
٤٢	» » السبب فى تبديل التوراة
٤٨	» » ما يعتقدونه

الموضوع	صفحة
فصل معرب عن فضائحهم	٥٣
ذكر السبب في تشديدهم الأحد على أنفسهم	٥٤
خاتمة الكتاب	٦٤
صورة السؤال	٧٠
صورة الجواب	٧٠